صورة العمارة في مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي تبعا لطروحات الرحالة الأجانب

م.د. پريزات قاسم حسين فهمي الصالحي
E-mail: parisalihi@yahoo.com
قسم هندسة العمارة – الجامعة التكنولوجية
العراق – بغداد

(تاريخ استلام البحث: 5/ 1/2016----- تاريخ القبول 25/ 2/2016)

المستخلص

يعد حكم المماليك لبغداد (1749-1831م) مرحلة مهمة في تاريخ العراق كونه مثل الفترة التمهيدية في تشكيل تاريخ العراق الحديث. حدد البحث مشكلته المعرفية بكل من: النقص المعرفي عن أهم عناصر أو مكونات صورة مدينة بغداد وسماتها، وعلى المستويين الحضري والمعماري، والتي ركز عليها أو أثارت إنتباه أبرز الرحالة الأجانب، وكل على حدة، وذلك خلال زيارتهم المدينة خلال فترة الحكم المملوكي فذكروها ووصفوها في طروحاتهم حول تلك الزيارة، أولا. وعدم توفر صورة معمارية واضحة وجامعة الى حد ما لمدينة بغداد خلال تلك الفترة تستند في رسمها فقط على طروحات هؤلاء الرحالة، وتوضح المكونات أو العناصر الأساسية التي تكونت منها المدينة وسماتها. وبذلك يهدف البحث الى: رسم صورة معمارية لمدينة بغداد خاصة بكل رحالة أجنبي تم انتخابه، أولا. ومن ثم رسم صورة معمارية واضحة وجامعة نوعا ما لمدينة بغداد وعلى المستويين الحضري والمعماري وذلك خلال فترة الحكم المملوكي وذلك بجمع معلومات الصور الخاصة السابقة في صورة جامعة، ثانيا. وقد طبق البحث الإطار النظري العام الذي وضعه لرسم الصورة المعمارية لأية مدينة على طروحات أبرز أربعة رحالة أوربيين، وبذلك تم تحقيق أهداف البحث. وأخيرا طرحت أبرز الإستنتاجات البحثية.

الكلمات المفتاحية: الصورة، صورة العمارة، الرحالة الأجانب، المماليك، العناصر المعمارية، المكونات الحضرية.

Architecture Image of Baghdad City during the Mamluk Rule As Seen by Foreign Travelers

Inst.D. Parizat Qassim Hussein Fehmi Al-Salihi
E-mail: parisalihi@yahoo.com
Department of Architectural Engineering- University of Technology
Baghdad – Iraq

(Received on 5 /1 /2016 & Accepted on 25 /2 /2016)

Abstract

The Mamluks rule of Baghdad (1749-1831 AD) is considered an important stage in the history of Iraq being an introductory stage in the modern Iraq history. The research identified its cognitive problem as follows: the lack of Knowledge about the important elements or components of Baghdad city image and its characteristics, both on urban and architectural level, which draw the attention or concentration of the most prominent foreign travellers, each separately, when they visited the city during the Mamluk rule, so they mentioned and described these subjects in their accounts about the journey. First. Moreover there is no clear and somewhat comprehensive architectural image of Baghdad during the Mamluk rule which depends in its drawing only on those travellers' accounts and describes the elements and components which form the city and its characteristics. Thus the research aims to: draw an architecture image of Baghdad city specific to each traveller selected. First. Then draw a clear and somewhat comprehensive architectural Image for the city of Baghdad, on both urban and architectural levels, during the Mamluk rule by collecting the previous specific images in one comprehensive image. Second. The research has established a general theoretical framework for drawing the architectural image of any city and then applied it using the accounts of four most prominent Europeans travellers, thus the objectives of the research have been achieved. Finally, the main research conclusions were put forward.

Key Words: Image, Architecture Image, Foreign Travelers, Mamluks, Architectural Elements, Urban Component

1- المقدمة

تعد بغداد واحدة من المدن التاريخية المهمة التي تميز نسيجها الحضري والمعماري منذ انشائه ولحد الآن ببنية تحمل قيما متميزة تمثلت بسمات وملامح حضرية ومعمارية أعطت للمدينة خصوصيتها على مر العصور.

لقد خضعت مدينة بغداد منذ انشائها عام 145هـ/762م ولغاية أوائل القرن العشرين لحكم العديد من الجهات والحكومات، ابتداءا بالخلافة العباسية التي بدأت بانشاء المدينة ومرورا بالحكم المغولي ومن ثم الجلائري والحكومات الأجنبية المتعاقبة، وأخيرا الحكم العثماني الذي دام لحوالي خمسة قرون 1534-1917م والذي يقسمه الباحثون أحيانا الى عدة عهود تاريخية، برز من بينها فترة حكومة المماليك الممتدة مابين 1749-1831م[1]. ومن خلال مراجعة الأبحاث المختلفة يظهر ان هذه المدينة يشوب تاريخها وعمارتها وتخطيطها الكثير من الغموض وقلة المعرفة خلال فترات تاريخية عديدة برز منها فترة الحكم المملوكي. لذا توجه البحث الى إستكشاف الدراسات عن مدينة بغداد تاريخيا ومعماريا خلال تلك الفترة لتحديد مشكلته البحثية.

2- نبذة عن فترة الحكم المملوكي في بغداد

جاء حكم المماليك لبغداد في مرحلة تاريخية مهمة كونها تعدالمرحلة التمهيدية في تشكيل تاريخ العراق المعاصر إذ أنه تم خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. كما شهدت الفترة المملوكية بداية تغلغل النفوذ البريطاني في العراق والذي تمكن من تشجيع المماليك على استلام الحكم في العراق بعيدا عن السلطة المركزية في اسطنبول. وبتنصيب سليمان باشا وزيرا على بغداد عام 1749م، تكونت حكومة المماليك شبه المستقلة. [فائق بك، ص5-9] [العزاوي، المجلد السادس، ص9]

وبعد عدة محاولات تمكنت الدولة العثمانية من إسقاط حكم المماليك وارجاع بغداد الى سيطرتها المباشرة وذلك بدخول جيوشهم بغداد في ايلول 1831م، وساعدهم في ذلك الكوارث التي لحقت بالمدينة قبل دخولهم -كالطاعون وفيضان نهر دجلة- والتي دمرت المدينة تاركة أكثر من ثلثيها خرابا، كما تناقص عدد سكانها من مائة وخمسين الف نسمة الى عشرين الف. [ولستيد، ص101-114] [لونكرك، ص301-321] وبذلك أرخت هذه الأحداث المتلاحقة لنهاية مرحلة مهمة من تاريخ بغداد.

عموما أظهرت الطروحات حول المماليك وفترة حكمهم في بغداد آراءا متضاربة، فمنهم من أشار الى أن فترة حكمهم اتسمت بالصراع الدموي والفتن وعدم الإستقرار مما سبب انصراف المماليك عن البناء والإعمار والتطور، حتى غدت بغداد واحدة من أقل المدن تطوراً. [فائق بك، ص8]. ومن جهة أخرى ظهرت طروحات ثانية أكدت ان حكومة المماليك قامت بجهود لإحياء الحضارة والثقافة والعمران، فكان عهدهم فترة نهضة. [العزاوي، المجلد 6، ص7,9]

3- الدراسات التي تناولت عمارة مدينة بغداد على المستويين الحضري والمعماري خلال الفترة المملوكية

أمكن تقسيم الدراسات التي تناولت عمارة مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي الى عدة أقسام، وكما يلي:

- **دراسات تاريخية** تطرقت لجوانب مهمة عن الموضوع في إطار تناولها لتاريخ بغداد خلال فترات زمنية مختلفة، كدراسة كل من ريجارد كوك- بغداد مدينة السلام1927م و ستيفن همفسلي لونكريك- اربعة قرون من تاريخ العرق الحديث 1925م.
- **طروحات رحالة أجانب** زاروا بغداد خلال فترة الحكم المملوكي ودونوا مشاهداتهم عن بغداد وتخطيطها وعمارتها.
- **طروحات معمارية أكاديمية** تطرقت ضمنيا لبعض الجوانب الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد خلال الحكم المملوكي في إطار موضوعاتها الخاصة بالعمارة العراقية في فترات تاريخية مختلفة كدراسة شذى العامري- التواصل في عمارة الفضاء الرافديني 2010م و فراس علي - تتابع البنى الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد عبر تاريخها 2013م.
- **الدراسات الآثارية:** وهذه كانت إما: كتب آثارية عامة تناولت باسلوب وصفي مراحل مختلفة من تاريخ العمارة العراقية، كدراسة شريف يوسف وآخرون - تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، أو كتب آثارية ودراسات أكاديمية متخصصة بدراسة أنماط وظيفية معينة خلال فترة معينة، كدراسة اعتماد القصيري - مساجد بغداد في العهد العثماني 1981م، ودراسة حميد الدراجي- البيت العراقي في العصر العثماني 2008م.

[1] يقسم عباس العزاوي في مؤلفه "تاريخ العراق بين احتلالين" فترة الحكم العثماني للعراق الى خمسة فترات هي: العهد العثماني الأول والعهد العثماني الثاني وحكومة المماليك والعهد العثماني الثالث وأخيرا العهد العثماني الأخير.

عموما فان القراءة النقدية للدراسات التي تقصت مدينة بغداد حضرياً ومعمارياً خلال الفترة المملوكية أظهرت مايلي:

- أنها اتسمت بعدم قدرتها على رسم صورة واضحة وجامعة نوعا ما لمدينة بغداد ،على المستويين الحضري والمعماري، وذلك خلال فترة الحكم المملوكي. فالطروحات حول الموضوع امتازت باللامباشرية والضمنية في الإشارة للموضوع والفترة، وكذلك العمومية في الطرح بالنسبة لبعض الدراسات والإنتقائية بالنسبة لأخرى.
- الإفتقار الى الدراسات المتخصصة التي تتناول بشكل صريح ومباشر مدينة بغداد(ملامحها،عناصرها أو مكوناتها وسماتها، العوامل المؤثرة في تشكيل بنيتها،...)على المستويين الحضري أو المعماري أو كلاهما وذلك خلال الفترة المملوكية.
- بالرغم من ان طروحات الرحالة الأجانب تمثل مصدرا مهما وغنيا في تحديد أهم ملامح وعناصر وسمات مدينة بغداد الحضرية والمعمارية خلال أي فترة ومن بينها فترة الحكم الحكم المملوكي كونها، وكما يشير محمود حسين الأمين، من أوثق المصادر [نيبور، ص5]، إلا أنه ظهر غياب أو ندرة الدراسات المعمارية التي تستند الى طروحات هؤلاء.
- تضارب الآراء حول حال العمارة والعمران في مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي، وكما ظهرت في طروحات العزاوي وفائق بك التي سبق الإشارة لها .

في ضوء ماسبق من مشاكل معرفية تبلورت مشكلة البحث وحددت أهدافه ومنهجه، وتم صياغتها كما يلي:

4- مشكلة البحث

- النقص المعرفي عن أهم ملامح وعناصر أو مكونات صورة مدينة بغداد وسماتها، وعلى المستويين الحضري والمعماري، والتي ركز عليها أو أثارت إنتباه أبرز الرحالة الأجانب، وكل على حدة، وذلك خلال زيارتهم المدينة خلال فترة الحكم المملوكي فذكرها ووصفها كل منهم في طروحاته حول تلك الزيارة.
- عدم توفر صورة معمارية واضحة وجامعة نوعا ما لمدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي تستند في رسمها فقط على طروحات أبرز الرحالة الأجانب الذي زاروا المدينة خلال تلك الفترة، وتوضح المكونات أو العناصر الأساسية التي تكونت منها المدينة وسماتها.

5- هدف البحث

- رسم صورة معمارية لمدينة بغداد خاصة بكل رحالة أجنبي زار المدينة خلال فترة الدراسة وكتب عنها وبالإستناد الى طروحاته فقط، وبشكل يوضح أهم الملامح والعناصر والمكونات وسماتها لمدينة بغداد وعلى المستويين الحضري والمعماري والتي ركز عليها الرحالة أو أثارت انتباهه فذكرها ووصفها في طروحاته عن تلك الرحلة.
- رسم صورة معمارية واضحة وجامعة نوعا ما لمدينة بغداد وعلى المستويين الحضري والمعماري وذلك خلال فترة الحكم المملوكي وذلك بالإستناد فقط على طروحات أبرز الرحالة الأجانب الذين زاروا المدينة خلال تلك الفترة وكتبوا عنها، وبما يوضح كلا من المكونات أو العناصر الأساسية وسماتها والتي تشكلت منها المدينة وبالتالي صورتها وعلى المستويين الحضري والمعماري. بعبارة اخرى جمع الصور المعمارية الخاصة بالرحالة الذين تناولهم البحث في صورة واحدة جامعة.

6- حدود البحث

الحدود الزمانية: فترة الحكم المملوكي في بغداد (1749-1831م). أما **الحدود المكانية:** فعلى الرغم من أن حدود ولاية بغداد خلال الفترة المملوكية كانت أوسع بكثير مما هي في وقتنا الحالي فان الدراسة الحالية ستحدد حدود الصورة التي تسعى لرسمها لمدينة بغداد خلال العهد المملوكي بمركز ولاية بغداد خلال تلك الفترة دون المقاطعات الأخرى التي كانت تابعة للولاية. علما أن هذا المركز كان يضم كامل المنطقة المسورة والواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة (الرصافة) وكذلك المناطق المقابلة لها والواقعة على الضفة الغربية لنهر دجلة ويضاف لهما ضاحيتي الكاظمية والأعظمية والمؤسستان حول مراقد الأئمة. وهذه المناطق تقابل بالنسبة لمدينة بغداد حاليا كلا من مناطق الرصافة والكرخ والاعظمية والكاظمية. أما **الحدود النوعية:** فقد حدد البحث الرحالة بأربعة من الأوربيين والذين يعدون من أبرز من زاروا المنطقة في تلك الفترة ودونوا ملاحظاتهم عنها ونشروها في كتب معتمدة، وتضمنت طروحاتهم وصفا لجوانب معمارية وحضرية تخص مدينة بغداد آنذاك.

7- فرضية البحث

- الشحة المعرفية عن الصورة المعمارية لمدينة بغداد على المستوين الحضري والمعماري خلال العهد المملوكي من أهم مسببات تضارب الآراء حول حال العمارة والعمران في المدينة خلال تلك الفترة.
- بالإمكان رسم صورة معمارية محددة وواضحة وجامعة الى حد ما لمدينة بغداد خلال العهد المملوكي وذلك بالإعتماد على طروحات أهم الرحالة الأجانب الذين زاروا المدينة خلال تلك الفترة وكتبوا عنها.

8- منهج البحث

وتتمثل خطوات المنهج بكل من: أولا": بناء اطار نظري للصورة بالنسبة للمدينة والعمارة، يعرف بالمفهوم في البدء، ومن ثم يحدد أهم مفردات ومؤشرات دراسة وتحليل ورسم الصورة للمدينة واستكشاف طبيعتها، وعلى المستويين الحضري والمعماري، والتي تمثل العناصر أو المفردات التي تشكل التركيبة (أو البنية) لأية مدينة. وثانيا": وتطبيق مؤشرات دراسة ورسم الصورة للمدينة على عدد من طروحات أبرز الرحالة الأجانب الذين زاروا مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي، والخروج بصورة معمارية جزئية–خاصة عن مدينة بغداد خاصة بكل رحالة، أي تحليل طروحات كل رحالة وفقا لمؤشرات دراسة وتحليل ورسم الصورة التي طرحها الإطار لرسم صورة المدينة تبعا لكل رحالة على حدة. وثالثا": جمع مؤشرات الصور الجزئية– الخاصة التي رسمت بالإستناد على طروحات كل رحالة على حدة في صورة معمارية جامعة نوعا ما توضح صورة مدينة بغداد خلال فترة الدراسة بالإستناد الى مؤشرات دراسة ورسم الصورة التي حددها الإطار النظري، وأخيرا": طرح الإستنتاجات والتوصيات.

9- بناء الإطار النظري لدراسة ورسم الصورة للمدينة على المستويين الحضري والمعماري

9-1 تعريف الصورة

ترد الصورة في **المعجم الوسيط** بمعنى الشكل والتمثال المجسم، كما ترد بمعنى الصفة والنوع للأمر أو المسألة. وصوَّرَ الشئ أو الشخص: رَسَمَه...، وصوَّرَ الأمر: وَصَفَه وصفا يكشف عن جزئياته. (المعجم الوسيط، ص528). كما تعنى الصورة **لابن منظور** الشكل والهيئة والحال للشئ، [ابن منظور، ج6، ص146] [ابن منظور، ج13، ص379]. أما في **المعجم الفلسفي** فترد الصورة على أنها تعني الشكل الهندسي أو الصفة للشئ أو هيئة الشئ أو تطلق على ترتيب وتركيب الأشكال أو على ذكرى الشئ المحسوس كما تطلق في نظرية الكشتالت على البنية والتركيب والتنظيم للشئ [المعجم الفلسفي، الصورة]. وبذلك فان الصورة لغويا ومعجميا تاتي بمعنى الشكل أو الهيئة أو الصفة أو البنية أو التركيب أو التنظيم.

أما **إصطلاحا** فقد عرف **مالك قديفة** الصورة للمدينة والعمارة رابطا إياها بمفهوم الهيئة بقوله: "الصورة للمدينة والعمارة....هي الهيئة الحاصلة بسبب اجتماع العناصر والمفردات المؤلفة للعمارة والمدينة .... وهيئة المدينة والعمارة ... هو مايعرف المدينة والعمارة من خلال مفرداتها وأوضاع وعلاقة هذه المفردات مع بعضها البعض لتشكل صورة المدينة والعمارة" [قديفة، ص9]. فالصورة تبعا للباحث "تمثل السمات الأساسية المشتركة المكونة لعمارة المرحلة قيد البحث على المستويات التخطيطية والعمارة المفردة والتفاصيل المعمارية فضلا عن السمات الإضافية بجزء منها دون الآخر".[قديفة، ص10] فالصورة هنا تمثل السمات والملامح الرئيسية للمدينة وعمارتها وعلى المستويين الحضري والمعماري.

أما **فراس علي مجيد** فقد ربط بين مفهومي الصورة والبنية باشارته الى أن "بنية المدينة إنعكاس لحالة العلاقات في صورة المدينة". [مجيد، ص31] كما عرفت **خولة كريم كوثر** الصورة بأنها "تشير الى التكوين، التشكيل، التركيب... وتشير الى فعل التصوير والتركيب، وهما لايقوم أحدهما دون الآخر بحيث يمكن القول ان التصوير تركيب وبنية، وان التركيب أو البنية لها عناصر ينحل اليها، وان هذه العناصر ذات علاقة متفاعلة تثمر في النهاية نشاطا صوريا، ...، الصورة (Image) النظرة الشاملة للشئ، تتكون من مجموعة صور أقل نطاقا والمقصود نطاق الرؤيا وتعني وصف حي، واقعي، حيوي وكل مايميز به الشئ المطلق خارج العقل".(كوثر، ص2) فالصورة هنا بنية أو تركيب او تشكيل مؤلف من عناصر متفاعلة، وان أي صورة تعطي نظرة شاملة للشئ، كما ان عملية رسم الصورة أو التصوير تعني عملية الوصف لعناصر ذلك الشئ وسماته.

وعرف **باسم سليم حكيم (Basim S. Hakim)** الصورة البصرية للمدينة بأنها: "الصورة المتبلورة من تنظيم عناصر البيئة الفيزياوية في المدينة والتي تسهم في بناء هويتها وشخصيتها البصرية المميزة والحسية المتكاملة". [Hakim, p.165] فصورة المدينة هنا هي تنظيم مؤلف من العناصر الفيزياوية المكونة لبيئة المدينة.

التعريف الإجرائي للصورة بالنسبة للمدينة أو العمارة: من مجمل التعاريف السابقة أمكن الخروج بالتعريف الإجرائي التالي:

"هي التركيبة (الهيئة أو الشكل أو البنية) الناتجة من جمع أجزاء وعناصر ومفردات المدينة أو العمارة قيد البحث".

وبذلك فان **رسم صورة للمدينة أو العمارة تعني:** وصف تركيبة (هيئة أو شكل أو بنية) المدينة وصفاً يكشف عن أهم سمات وملامح أجزاءه وعناصره ومفرداته ومابينها من علاقات وعلى المستويين الحضري والمعماري (العمارة المفردة وتفاصيلها).

9-2 استخلاص المفردات الأساسية للإطار النظري لدراسة وتحليل ورسم الصورة للمدينة

9-2-1 الدراسات السابقة

شملت عدة دراسات تضمنت مؤشرات مهمة في رسم الصورة لأي مدينة على المستويين الحضري والمعماري، وكما يلي:

أولا: دراسة مالك صبري قديفة 2006 – صورة العمارة العراقية قبل الإسلام: هدفت الدراسة الى رسم صورة العمارة العراقية في الفترة مابين (537ق.م-632م)، وبذلك توجه البحث الى وصف وتحليل العمارة وآثارها للحواضر المدروسة إنطلاقا من مستوى تحليل الموقع والتخطيط للمدن، ثم مستوى العمارة المنفردة وأنواعها الوظيفية وأنماط مخططاتها وعلاقاتها الفضائية، وصولا الى مستوى العناصر والتفاصيل المعمارية. وبمقارنة تلك التحليلات مع كل من المؤشرات المكانية (السمات) لعمارة وادي الرافدين قبل فترة الدراسة والمؤشرات الزمانية انتهى البحث الى استخلاص الصورة النهائية لكل منطقة.

ثانيا: دراسة فراس علي مجيد 2013 – تتابع البنى الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد عبر تاريخها: هدفت الدراسة الى توضيح أهم البنى الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد عبر تاريخها ولغاية 2013م، وتأشير طبقات مخططاتها عبر التاريخ، لغرض تثبيت البنى المستمرة وامكانية اعادة احيائها متوصلة الى تحديد عدة مفردات لتحليل البنية الحضرية والمعمارية، وهي:
أولا: العلاقات الأساسية على مستوى المحاور(المسارات). وثانيا: العلاقات الأساسية على مستوى العقد، وتشمل كلا من: مستوى عقد الفعاليات الأنسانية والتي تعد الأساس الذي تنشأ منها استعمالات الأرض. وهذه العقد تغطي القطاعات وتربط التكوين الفيزياوي بالنمط الوظيفي والإستخدامي. ومستوى العقد المعمارية، وتشمل عمارة المدينة وكذلك المعالم أو الشواخص في المدينة. وثالثا: العلاقات الأساسية للحافات الطبيعية والحضرية: وتشمل الأنهار، الحدود الطوبوغرافية، الأسوار،... . ورابعا الترابطات أو التدرج الهرمي للعلاقات. وأخيرا المستويات الدلالية ومستويات الإمكان للعلاقات السابقة.

ثالثا: دراسة كيفن لنج 1960 Kevin Lynch – The Image of the City: طرح لنج تصوره لصورة المدينة على أنها بنية تتألف من سلسلة من العناصر النمطية محددا خمسة عناصر أساسية تشكل البناء الفيزياوي لهيكل المدينة ويستخدمها الناس عادة لرسم مخططاتهم الذهنية عنها، وهي:
المسارات: هي القنوات التي يتحرك خلالها الملاحظ، وتتمثل بالشوارع، المماشي، خطوط النقل،... . والحافات: وهي عناصر خطية لاتستخدم كمسارات. وقد تكون عبارة عن الحدود بين نطاقين، او فواصل خطية مستمرة: كالشواطئ، او انقطاعات ناجمة عن خطوط السكك الحديدية،... . أما القطاعات: فهي عبارة عن اقسام متوسطة او كبيرة من المدينة تدرك على أنها تمتد باتجاهين، وتملك شخصية محددة عامة، ونسيجا متجانسا غالبا مايكون مصاحبا لاستخدام متجانس. والعقد: وهي نقاط، أو بقع ستراتيجية في المدينة بالإمكان دخولها، كما أنها بؤر مكثفة يمكن ان ينتقل منها أو اليها، كالتقاطعات الرئيسية ومحطات التنقل ومناطق تقاطع أو تشعب المسارات، أو قد تكون لحظات الانتقال من بنية الى أخرى، أو أماكن مهمة لتركز استعمال معين او شخصية فيزياوية معينة فيها. وأخيرا المعالم: وهي نقاط مرجعية تكون عبارة عن عناصر فيزياوية بسيطة وكبيرة المقياس.

رابعا: دراسة بانستر فلتشر 1954-الطبعة 16 A History of Architecture– Banister Fletcher: وتعد واحدة من أبرز الدراسات في مجال تشخيص الخصائص والسمات المميزة لطراز عمارة الفترات والشعوب والمناطق، وتبرز من طرحها النظام التحليلي المقارن لدراسة الطرز والفترات المعمارية والذي يتألف من الفقرات التالية:
أولا: المؤثرات، وتشمل: الجغرافية، الجيولوجية، المناخية، الدينية، الإجتماعية، التاريخية. وثانيا: الشخصية المعماريةِ: والتي تستعرض الخصائص والملامح العامة المميزة لعمارة الفترة. وثالثا: الأمثلة: ويستعرض خلالها بالوصف أبرز النماذج لأبرز أنماط الأبنية للفترة أو المنطقة الدروسة. واخيرا: التحليل المقارن: وتشمل استعراض أبرز الخصائص المعمارية على مستوى كل

من المخططات، والجدران، والفتحات، والأعمدة، والسطوح، والزخارف المقولبة، وأخيرا الزخارف بشكل عام. وهنا لابد من الإشارة الى أن طبيعة خط السماء للمدينة كان من العناصر المهمة التي أكد عليها فليتشر في تحليلاته للطرز.

خامسا: طروحات نيكوس سالنكاروس Theory of Urban Web –2002 Nikos A. Salingaros: يطرح سالنكاروس مفهوم الشبكة الحضرية التي يعرفها بأنها: "هيكل تنظيمي معقد يتواجد أساسا في الفضاء بين الأبنية... . تتكون الشبكة الحضرية من كل العناصر الخارجية والرابطة ك: مناطق المشاة والمناطق الخضراء، الجدران الحرة، مسارات المشي، والطرق باشكالها"[p.1]، ملخصا العمليات التي تولد الشبكة الحضرية في ثلاثة مبادئ بنيوية للشبكة الحضرية، هي:[p.2]

1 -العقد Nodes: فالشبكة الحضرية تثبت في عقد الفعالية الإنسانية والتي تصنع ترابطاتها الشبكة. أما انواع العقد فهي: البيت،العمل، المتنزه، المخزن، المطعم،...الخ. كما تعمل العناصر الطبيعية والمعمارية على تقوية العقد ومساراتها الرابطة.

2 -الروابط Connections: الروابط الثنائية تتشكل بين العقد المتكاملة متخذة شكل خط مستقيم أو تتخذ أشكالا منحنية او غير منتظمة رابطة بين ثلاثة أنواع من العناصر، هي: العناصر الطبيعية: كضفاف الأنهر، مجموعة من الأشجار،... . وعقد الفعالية الإنسانية، والعناصر المعمارية: وتشمل أي شئ يبنيه البشر لربط العناصر الطبيعية وتقوية عقد فعالياته.

3 -التدرج الهرمي Hierachy: تنظم الشبكة الحضرية نفسها بخلق تنظيم متدرج من الروابط على مستويات مختلفة من حيث المقياس مبتدئة بالمماشي وتتقدم صعودا الى الطرق متعددة السعة. ونادرا مايتشكل هذا التدرج مرة واحدة بل بمرور الزمن.

2-2-9 مفردات دراسة وتحليل ورسم الصورة للمدينة على المستويين الحضري والمعماري.

بالإستناد الى طروحات الدراسات السابقة وكذلك التعريف الإجرائي أمكن للبحث التوصل الى تحديد مفردات أو مؤشرات دراسة وتحليل ورسم صورة المدينة على المستويين الحضري والمعماري، وهذه المفردات تمثل في واقعها المكونات أو العناصر الأساسية لتركيبة (هيئة، بنية، شكل) أية مدينة. وهذه المفردات هي: راجع جدول (1)

أولا: المكونات على المستوى التخطيطي والحضري: أي تخطيط المدينة وعناصرها الحضرية وتشمل مجموعة مكونات، هي:

- **مخطط وموقع المدينة:** ويقصد بها نمط المخطط وطريقة تنظيمه وشكله وتوقيعه العام وطبيعة الموقع ومجاوراته.
- **المسارات:** وتعد من العناصر الأساسية في تشكيل صورة المدينة، إذ تمثل قنوات الحركة والتنقل للناس داخل المدينة.
- **الحافات:** وهي عناصر خطية لاتستخدم كمسارات وانما تفصل بين جزئين لتؤشر بداية أحدها ونهاية الآخر. وقد تكون طبيعية كالأنهار، حدود طوبوغرافية ،.... أو من صنع الإنسان كالأسوار، حد السكك الحديدية،... .
- **مناطق تجمع النشاطات الإنسانية:** وهي أماكن ستراتيجية تنشأ منها استعمالات الأرض، إذ تعرف الفعاليات الإنسانية هذه المناطق، وتشمل عنصر القطاعات والعقد السابقين. لذا تقسم الى:

-العقد: وهي أماكن ستراتيجة للتجمع في المدينة، وقد تكون عبارة عن نقاط تقاطع او ابتداء أو انتهاء او التقاء المسارات في المدينة أو مناطق تغيير في تكوين ما أو مناطق تركز استعمال ما او شخصية فيزياوية ما. ومن أبرز أمثلتها الساحات والميادين في المدينة.

-القطاعات: وهي تقابل الأحياء وهي مناطق متوسطة أو كبيرة من المدينة تمتاز بامتلاكها خصائص متجانسة تكسبها شخصية وطابع مميز، وغالبا ماترافقها استخدام أو فعالية متجانسة.

- **المعالم الطبيعية:** وهذه تمثل عناصر مادية من صنع الطبيعة تعد مهمة في رسم صورة المدينة، فقد تتمثل بقمم الجبال، او الأودية، أو الأشجار العالية أو القديمة، ... .
- **المظهر العام للمدينة وخط سمائها:** ويقصد بالمظهر العام، الإنطباع العام عن المدينة وشكلها ومبانيها، أما خط السماء فيقصد به الصورة الظلية الأفقية لمدينة ما في مقابل السماء، وبعبارة أخرى الإطار الخارجي أو الهيئة التي تنتج عند النظر لمجموعة أبنية تمثل السماء خلفيتها. (Cambridge Dictionary, Skyline), (wiktionary,Skyline), (Oxford Dictionary, Skyline), (The free Dictionary, City+skyline)

ثانيا": المكونات على المستوى المعماري – الأبنية المنفردة وتفاصيلها: وتشمل المباني والشواخص أو المعالم للمدينة، وتكون عبارة عن مكونات مادية ثلاثية الأبعاد ومن صنع الإنسان، وتتميز بامكانية إدراكها من الخارج. عموما فان عمارة المدينة

يمكن دراستها وتحليلها ووصفها من النواحي التالية: (انواعها الوظيفية، نمط مخططاتها، عناصرها المعمارية وخصائص هذه العناصر، مواد البناء وطرق الإنشاء، الزخارف والتزيينات).

10- التطبيق

ويمثل المرحلة الثانية من مراحل المنهج، إذ يتم تطبيق مؤشرات دراسة ورسم الصورة للمدينة على طروحات عدد من أبرز الرحالة الأجانب الذين زاروا مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي وكتبوا عن زيارتهم لها. وهؤلاء الرحالة هم كل من: كارستن نيبور Carsten Niebuhr 1765- 1766م، وأوليفييه Guillaume-Antoine Olivier 1794-1796م، وجيمس سلك بكنغهام James silk pakenham 1816م، وجيمس ريموند ولستيد James Raymond Wellsted 1830م.

10-1 الصورة المعمارية الجزئية-الخاصة بالرحالة الزائرين لمدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي

10-1-1 الصورة الخاصة بطروحات كارستن نيبور Carsten Niebuhr خريف 1765- آذار 1766

زار الرحالة الألماني الأصل نيبور، دانماركي التبعية، بغداد في الفترة مابين خريف1765- آذار1766 في واحدة من اضخم الرحلات العلمية الأوربية نحو الشرق. وقد نشر نيبور مذكراته بعد عودته، والصورة التي ستبحثها الدراسة تستند على ترجمة لما كتبه عن بغداد. [نيبور، ص5-17,6-18]. أما بالنسبة للعناصر المكونة لصورة المدينة تبعا لنيبور فكانت كالتالي:

أولا: على المستوى التخطيطي والحضري: [نيبور، ص28-41]

- على مستوى **المخطط والموقع العام للمدينة** فان الرحالة رسم مخططا للمدينة، راجع الشكل (2)، يظهر بغداد كمدينة مسورة تقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة، أما الجانب الغربي من دجلة فغير مسور يعرفها على أنها من ضواحي بغداد وان مستواها منخفض كثيرا عن مستوى المدينة، مؤكدا احتواء الضواحي الغربية للمدينة على البساتين الخالية من السكن. أما المنطقة التي يدعوها الرحالة بقرية الكاظم فتقع الى الشمال والشمال الغربي من بغداد وعلى الضفة الغربية من دجلة، مشيرا الى ان موقع بغداد القديمة (اي بغداد التي أنشأها المنصور) هو في هذه المنطقة. أما المنطقة المحيطة بجامع الامام ابي حنيفة فيشير لها الرحالة بقرية المعظم والتي تقع على الضفة المقابلة لموسى الكاظم.

ضمت المدينة المسورة ثلاثة أبواب. الأول دعى بباب المعظم ويقع الى الشمال من المدينة، والثاني هو الباب الوسطاني أو الوسط، ويقع الى الشرق من المدينة، ثم باب قروولوق قابي[1]. كما ذكر الرحالة بابا رابعا عند الجسر يسمى باب الجسر، وأشار أيضاً الى برج ضخم كان سابقا بابا وأغلق عرف بباب الطلسم، ويقع الى الشرق من المدينة جنوب الباب الوسطاني.

- اما طبيعة **المسارات** في المدينة فقد أشار الرحالة الى كون بغداد مدينة مزدحمة بالسكان وشوارعها ضيقة، وفيها الكثير من الشوارع الفرعية. ويظهر المخطط الذي رسمه نيبور للمدينة أن المسارات الرئيسية للمدينة تنطلق عادة من بواباتها الرئيسية لتصل فيما بينها أو لتمتد باتجاه قطاعات المدينة الأخرى، وهي بشكل عام عبارة عن مسارات غير منتظمة، إذ لايبدو تخطيط المدينة هندسيا منتظما. وعموما فان المسارت تصل عادة الى الأبنية المهمة في المدينة، مع وجود عدد من المسارات الممتدة بصورة مباشرة وعمودية نوعا ما باتجاه النهر، دون نسيان المسار الرابط بين جانبي نهر دجلة والمتمثل بجسر مؤلف من 34 قارب مربوطة مع بعضها بسلاسل، وكذلك مسار آخر موازي تقريبا لنهر دجلة تفتح عليه المسارات القادمة باتجاه النهر.

- أما بالنسبة **لمناطق تجمع النشاطات البشرية**، فقد ظهرت قلعة صغيرة تدعى إيج قلعة[2] (قطاع عسكري) في الزاوية الغربية من المدينة المسورة، وهي مقر لقوات عسكرية وتستخدم كمخزن للبارود، أما السراي (قصر الباشا-القطاع الإداري والسياسي) فيقع أمام القلعة ويمتاز بسعته وضمه العديد من الأبنية معظمها متهدم. أما البيوت (قطاع السكن) فان القسم الأعظم من المدينة مهدم وغير مسكون، بينما يتجمع السكان في المناطق التي تقع على نهر دجلة والمناطق القريبة من السراي، وكذلك تكثر في هذه المناطق أغلب أسواق المدينة (القطاع التجاري). وبالنسبة للعقد فقد أشار الى وجود مكان فسيح بين ضريح الست زبيدة والشيخ معروف في الضاحية الغربية لبغداد يجتمع في كبراء بغداد مرة في الأسبوع للهو وممارسة الرماية.

[1] قروولوق قابي: تسمية تركية ، وتعني باب الظلمات. وسميت أيضا بباب كلواذي، وفي فترة متأخرة سميت بالباب الشرقي.

[2] ايج قلعة: كلمة تركية وتعني القلعة الداخلية، وموقعها هو موقع كل من وزارة الدفاع السابقة والقصر العباسي في الميدان.[نيبور، ص13]

-وبالنسبة **لحافات المدينة** فان الإصطناعية منها تمثلت بالأسوار والخندق اللذان أحاطا جزء المدينة الواقع شرق نهر دجلة ومن ثلاثة اتجاهات، في حين تمثلت الطبيعية بنهر دجلة والتي تقع بغداد المسورة على ضفته الشرقية.

-أما **المظهر العام للمدينة وخط سمائها** فقد أشار الباحث الى ان معظم المناطق داخل المدينة الشرقية المسورة مهدم، بينما يكتظ السكان وتكثر الأسواق في المناطق القريبة من النهر والسراي. أما شوارعها فضيقة وتسقف أسواقها المهمة بالقباب، في حين تملك بيوتها طابع فن البناء الإسلامي. ولم يظهر أي وصف لخط سماء المدينة بالنسبة لمن يقترب منها من الخارج.

ثانياً: أما على المستوى المعماري: فقد أشار الرحالة لوجود العديد من المباني التي أمكن للبحث تصنيفها تبعا لأنماطها الوظيفية، وكما يلي: [نيبور، ص29-41]

-**السكنية**، أي البيوت. وهذه تبعا للرحالة تألف مخططها من فناء صغير مربع تطل عليه أفضل غرف البيت. ومعظم البيوت مبني بالطابوق، وتمتاز بانها عالية الى حد ما وواجهاتها المطلة على الشارع أو الزقاق تكاد تخلو من من النوافذ وان وجدت فتكاد تكون غير مرئية. وقد تطرق الرحالة الى المعالجات التي يستخدمها السكان للتخلص من الحرارة العالية ظهرا في فصل الصيف، إذ يبني سكان بغداد في بيوتهم سراديب لقضاء معظم أوقات النهار. وهذه السراديب عبارة عن غرفة مقببة فيها مجارى للهواء تضم فتحة واسعة باتجاه الشمال حيث يهب الهواء من ذلك الإتجاه.

- أما **المباني العسكرية والدفاعية والتحصينية**، فقد أشار الرحالة الى وجود قلعة صغيرة تدعى إيج قلعة، وكانت تستعمل كمخزن للبارود، كما تقيم فيها القوات العسكرية (الينيجرية). أما بالنسبة لأسوار المدينة فكانت مبنية بالطابوق، وتوزعت عليها عشرة أبراج أو قلاع ضخمة ضمت مدافع لحماية المدينة. كما ظهرت أبراج صغيرة موزعة بين الأبراج الضخمة كانت تستعمل للدفاع بالبنادق. وكان السور يضم الكثير من المزاغل التي تستخدم للدفاع عن المدينة والخندق المحيط بالسور بواسطة البنادق. كما ضم السور أيضا ومن الداخل عددا كبيرا من الأقواس المزدوجة المركبة على بعضها البعض. وتبعا للرحالة فان تحصين بغداد ضعيف، فسورها ضعيف ويخلو من وسائل الدفاع والتقوية من الخارج، والخندق جاف.

- أما بالنسبة **للمبنى الإداري** وهو السراي فلم يذكر نيبور عنه سوى أنه واسع جدا ويضم العديد من الأبنية معظمها متهدم.

- وبالنسبة **للأبنية الدينية والأضرحة والمقابر**، فقد أشار الرحالة الى ضريح الشيخ عبد القادر داخل المدينة المسورة والذي يعلوه قبة كبيرة. ويضم الضريح أيضا تكية تضم أروقة وغرف، كما تلحق بها عدد كبير من البيوت يسكنها الأتباع والوافدين. كما أشار الى وجود جامع فخم في قرية الكاظم، شمال بغداد المسورة، يضم قبر الإمامين موسى الكاظم وحفيده، مشيرا الى ان طراز بناء قبتي الجامع والمنارة هو طراز معماري فارسي، وقد غلفتا بالآجر الملون، وان مبنى الجامع متصل بالبيوت من جهتين. أما قبر الإمام أبي حنيفة فقد أشار الى وجوده في قرية المعظم في الجهة المقابلة لجامع الإمام موسى الكاظم. أما بالنسبة لقبر الشيخ معروف الكرخي فانها تقع في الجانب الغربي لنهر دجلة، وهو عبارة عن مسجد صغير يضم برجا صغيرا. وأشار الرحالة أيضا الى وجود جامع في سوق محلة سوق الغزل داخل بغداد المسورة لم يبق منه سوى منارته وواجهة سوره الذي يضم مدخلان يمتازان بجمالهما، كما تضم الأبواب كتابات تشير الى من شيده وزمن التشييد. أما المقابر الأخرى التي أشار الرحالة الى وجودها في بغداد فشملت كلا من: قبر زبيدة والمؤلف من برج قديم صغير يقع القبر داخله، وعلى مقربة منه ضريح بهلول دانه وبالقربة من هذا القبر يقع قبر يوشع. وهذه المقابر موجودة في الجانب الغربي لدجلة وقريبا من موقع بغداد القديمة (بغداد المنصور). كما أشار نيبور الى وجود تكية للدراويش البكتاشية، تطل على دجلة في ضفته الغربية، وهي عبارة عن بناية قديمة مرتفعة يعلو مدخلها كتابة.

-أما بالنسبة **للمباني التجارية** فقد أشار الرحالة الى ان اسواق بغداد الراقية مقببة. كما أشار الى وجود خان يدعى علي خان أو كروان سراي ويدعى من قبل العامة خان جغال، وكان يضم كتابات تشير الى من بناه وزمن البناء.

-أما **المدارس** فقد أشار نيبور لوجود المدرسة المستنصرية التي لم تعد خلال الفترة التي زار بها بغداد تستعمل كمركز للتعليم ، حيث تحول أحد مرافقه الى دار للكمرك، والقسم الأكبر الباقي صار خانا يدعى أوت ميداني خان(خان العلف)، وجميع أبنيته متهدمة، وبامتداد الواحهة النهرية للمدرسة كتابة تشير الى من شيد المدرسة وزمن التشييد. في حين أكد الرحالة ان المدرسة الرئيسية القائمة في المدينة آنذاك كانت المدرسة المرجانية التي يعود بناؤها الى 758هـ.

-

10-1-2 الصورة الخاصة بطروحات أوليفييهGuillaume-Antoine Olivier عام 1794-1796م

زار الرحالة الفرنسي Olivier العراق مرتين خلال الفترة مابين 1794-1797م. ونشر أوليفيه نتائج رحلته بالفرنسية في أربعة مجلدات [أوليفييه، ص3-9]. والصورة التي سيرسمها البحث الحالي تعتمد على ترجمة للفصول الخاصة بالعراق والتي نشرت في المجلد الثاني للرحلة. أما بالنسبة لمكونات أو عناصر صورة مدينة بغداد تبعا لأوليفييه فكانت كالتالي:

أولا: فعلى المستوى التخطيطي والحضري: [أوليفييه، ص73-85، ص141-142]

- بالنسبة **للتخطيط والموقع العام للمدينة** أكد أوليفييه أن بغداد تقع في منطقة سهلية وعلى الضفة اليمنى من نهر دجلة مشيرا الى أن امتداد أسوارها يتراوح مابين الفي خطوة هندسية طولا وحوالي الف عرضا، وهي محاطة بأسوار ولم يبق من أبوابها الأربعة السابقة خلال زمن الرحلة سوى ثلاثة يضاف لها باب رابع وحيد من جهة النهر يقود الى الجسر المؤدي الى الضاحية الأخرى للمدينة. وتبعا للرحالة فان بغداد لاتقتصر على هذه المنطقة، إذ يوجد على الضفة الغربية لدجلة ضاحية مكتظة بالسكان ومسورة ويحيطها خندق وتمتد باتجاه الشمال الغربي وتنتهي عند مايعتقد أنه آثار بغداد القديمة (بغداد المنصور). وتبعا لأوليفييه فانه بغداد بامكانها أن تمتد أكثر على طول النهر لتصل حتى مشهد الإمام الأعظم لتبلغ حوالي سبعة الآف ياردة. كما يتضح من الوصوفات أن البيوت لاتجاور او تلاصق الأسوار وبالأخص شرقا وجنوبا، إذ يشير الرحالة الى وجود ساحة كبيرة تفصل السور والبيوت شرقا وجنوبا. وكان اوليفييه قد أشار بان امتداد بغداد خلال زمن زيارة الرحالة تافرييه لبغداد سنة 1656م يشبه امتدادها خلال زمن زيارة أوليفييه وذلك تبعا للخارطة التي رسمها تافرييه، راجع شكل (1).

وأكد الرحالة أيضا وجود قرية أو ضاحية واقعة على بعد نصف فرسخ (ثلاثة أميال) شمال غرب بغداد وعلى الضفة الشرقية لدجلة، ويقصد بها الضاحية المؤسسة حول مشهد الإمام الاعظم. في حين تقع ضاحية موسى الكاظم على الجانب الآخر لدجلة وعلى بعد فرسخ من بغداد وربع فرسخ من النهر. كما يشير الرحالة الى أطراف بغداد بتأكيده بان بغداد محاطة بأراض غير مزروعة نادرا ماترى بعض الحدائق في أجزائها العلوية والسفلية.

- وبالنسبة **للمسارات** داخل المدينة فلم يشر أوليفييه الى مسارات وشوارع محددة عدى مايمكن استشفافه من الوصوفات كالمسار الرابط بين جزء المدينة الواقع شرق نهر دجلة والضاحية الواقعة غرب نهر دجلة وهو عبارة عن جسر مؤلف من ثلاثون قاربا مربوطة بسلاسل حديدية، بالإضافة الى المسارات التي تمتد من أبواب المدينة الواقعة على الأسوار. إلا أن الرحالة أكد في موضع آخر أن الأسواق كانت تمثل الشوارع الرئيسة في المدينة، أما الأزقة فتكون ضيقة ومظلمة في حين شوارع الأسواق تكون عادة محمية من الأعلى لذا المناخ فيها أقل حرارة من الأزقة.

- أما بالنسبة **لمناطق تجمع النشاطات الإنسانية** فقد أشار الرحالة الى أن المدينة كما تبدو ليست كبيرة ولا آهلة بالسكان. ويقع القطاع الخاص بالحكم والإدارة أو السراي في الزاوية العليا أو الغربية من المدينة، وهي تضم مايشبه القلعة التي تستخدم لخزن الأسلحة لذا تعد تابعة للقطاع العسكري. ويدخل ضمن القطاع العسكري السور وبواباته والتي تحيط بالمدينة في جزئيها، الأول يقع في الضفة الشرقية للنهر والثاني يقع على الضفة الغربية للنهر. أما القطاع السكني فينتشر داخل مناطق الأسوار ويصل بنائها حتى حافة النهر، ولذا لايستمر السور عند حافة النهر. أما قطاعات المدينة الأخرى كالأبنية الدينية والتعليمية أشار الرحالة فقط الى وجود مدرسة تستخدم كخان وجامع شيدهما المستنصر بالله باتجاه جسر القوارب، أما على الضفة الغربية لدجلة فقد أشار لوجود قبر زبيدة وقبور أخرى يبدو انها كانت ضمن أسوار بغداد القديمة. أما مشهد الامام الأعظم فتقع في قرية المعظم بينما يقع جامع الإمام موسى الكاظم في ضاحية موسى الكاظم. أما الأسواق والخانات وبقية القطاعات فلاتوجد اشارة الى مواقعها ضمن المدينة عدى الإشارة الى أن شوارع الأسواق تمثل المسارات الرئيسية في المدينة.

أما **الحافات** فان الطبيعية منها تمثلت بنهر دجلة، ولربما يمكن عد المناطق الصحراوية أو الغير مزروعة المحيطة بالمدينة ولاسيما باتجاه الجنوب والغرب حافات طبيعية تحيط المدينة. أما الحافات الصناعية فتتمثل بالأسوار وبواباتها والخنادق التي تحيط بجزء المدينة الواقع شرق وغرب نهر دجلة ماعدى جهة النهر، مع اختلاف درجة التحصين والقوة للأسوار بين الجانبين.

- وبالنسبة **للمعالم الطبيعية** يمكن عد نهر دجلة أبرز معلم طبيعي يخترق المدينة .

- أما بالنسبة **للمظهر العام للمدينة وخط سمائها**، فيرى الرحالة أن بغداد ليست مدينة كبيرة أو آهلة بالسكان وأن لها مظهر شرقي أكثر مما لأي مدينة عثمانية إذ تضم عددا من الأسواق والمتاجر، وهي تضفي على المدينة زينتها. أما بقية أجزاء المدينة فقذرة وموحلة شتاءا ومليئة بالتراب صيفا، والأزقة ضيقة. أما أطراف بغداد فلاتضم منازل ولاأماكن للنزهه أو الترويح، وانما هي صحاري وقبور وأمور رتيبة تبعا للباحث. وعموما لم يشر الرحالة اشارة واضحة لطبيعة خط السماء في بغداد.

ثانيا: أما على المستوى المعماري: فقد أشار الرحالة لوجود العديد من المباني والتي تمكن البحث من تصنيفها تبعا لأنماطها الوظيفية، وكما يلي: [أوليفييه، ص73-85]

- بالنسبة **للأبنية السكنية** وتبعا لأوليفييه فانها عادة بسيطة من الخارج وتضم عددا قليلا من الشبابيك وتنتظم عادة بطابقين وبشكل مربع حول فناء صغير نجد فيه من واحد الى ثلاث نباتات مزروعة من نبق أو نخل. أما بيوت الأغنياء فتضم فناء ثاني ومجموعة سكنية ثانية لاتضم أي شبابيك تطل على الشارع تخصص للنساء ولايدخلها الرجال الا رب الاسرة أو المسؤول. أما الديوان أو قاعة الجلوس فهي غرفة تقع في الطابق الأول وتواجه الشمال او الشمال الشرقي وتفرش للجلوس لقضاء قسم من النهار فيها وفي جميع المواسم. أما السرداب فهو عبارة عن قبو واسع مقبب جيدا ومزين الى حد ما ويمتد تحت الأرض بعمق أربعة الى خمسة أقدام مزودة بمنافذ هوائية تصل أعلى البيت تستخدم لتجديد الهواء من خلال شبابيك صغيرة.

- أما **المباني العسكرية والدفاعية والتحصينية**، فان المدينة الواقعة الى الشرق من دجلة كانت محاطة بخندق واسع عميق يليه اسوار عالية جدا جيدة الصيانة ومبنية بالآجر. والسور مبني بطريقة أسماها الرحالة بالفارسية، إذ أنه سميك جدا من الأسفل ليضيق صعودا ومن الجانبين، كما أنه يضم ثقوبا صغيرة تستخدم لإطلاق النار، كما يضم عددا من الأبراج المتقاربة والمختلفة الحجم والتي تعلوها المدافع. أما أبواب السور فقد كانت سابقا أربعة أغلق الجنوبي الشرقي منها في عهود سابقة ولم يبق منها الإ ثلاثة يضاف لها باب واحد يطل على النهر ويقود الى جسر القوارب. كما ضمت المدينة في جهة النهر وقريبا من السراي مايشبه القلعة والتي لاتصلح، تبعا للرحالة، الا لخزن الأسلحة والبارود. أما سور الضاحية الغربية للمدينة، والذي شيد في عهد سليمان باشا الذي كان يحكم المدينة في زمن الرحلة، فانه كان أقل تحصينا من سور المدينة الشرقية. وعموما فان التحصين كان عبارة عن خندق صغير وسور بسيط يحيط الضاحية ويضم بعض الأبراج كما أنها تضم مدفعا وضع فيها.

- أما بالنسبة **الأبنية الإدارية وأبنية الحكم**، فان سراي الباشا كان يقع في الزاوية العليا الغربية من المدينة، وامتاز بسعته لتعدد ساحاته، كما كان يضم الكثير من الحرس لحماية المدينة.

- وبالنسبة للأبنية **التجارية الأسواق والمحلات** فانها تبعا للرحالة تمثل الطرق الرئيسة للمدينة، وتمتاز بسعها وترتيبها وسقفها الآجري العالي والذي يضم فتحات للإضاءة. أما الدكاكين فتمتد على جانبي السوق، ويتألف الدكان من مجاز بعرض 2-3 قدم يصل المرء الى داخل الدكان من خلاله، أما وسط السوق المخصص للسابلة فيتراوح عرضه مابين 10-12-15 قدم.

- أما **باقي أنماط الأبنية** فلم يشر اليها أوليفييه أو أشار الى بعضها اشارة عابرة. فقد اشار الى وجود مدرسة شيدها المستنصر بالله باتجاه الجسر وكانت تستعمل في زمن الرحلة خانا مع وجود جامع قريب منها شيده المستنصر أيضا، ومن الواضح أنه يشير الى المدرسة المستنصرية. أما القبور فقد أشار الى وجود قبر زبيدة وقبور أخرى في الضاحية الغربية من مدينة بغداد. كما أشار الرحالة الى وجود مشهد الإمام الأعظم في قرية المعظم والذي يضم قبر الإمام، كذلك جامع الإمام موسى الكاظم والذي يضم قبره في ضاحية موسى الكاظم دون أي وصوفات إضافية لهذه الأبنية.

- أما بالنسبة للمواد البنائية المستخدمة فقد أشار الرحالة الى استخدام القار في مدينة بغداد والذي يجلب من أطراف هيت غرب المدينة. والقار يستخدم لطلاء خارج المجاري وغرف الحمامات ومغاسل المطابخ والأجزاء المعرضة للماء بشكل مستمر.

10-1-3 الصورة الخاصة بطروحات الرحالة جيمس سلك بكنغهام James silk pakenham1816 م

وصل الرحالة الإنكليزي بكنغهام بغداد في 16 تموز ولغاية 24 تموز من عام 1816م [بكنغهام، ص183-234]، ونشر الرحالة مشاهداته في رحلاته في أكثر من مجلد، والصورة التي سيتم توضيحها تعتمد على ترجمة لكتاب عن رحلته الى العراق صدر سنة 1827م. [بكنغهام، ص5] أما بالنسبة للمكونات أو العناصر المكونة لصورة المدينة تبعا لبكنغهام فكانت كالتالي:

أولا: على المستوى التخطيطي والحضري: [بكنغهام، ص183-235]

-بالنسبة **للمخطط والموقع العام** فان مدينة بغداد تقع على سهل مستو على الجانب الشمالي الشرقي من نهر دجلة بحيث يلاصق أحد جوانبها النهر. وقد أكد بكنغهام أن المخطط الذي وضعه نيبور لبغداد صحيح عموما من حيث شكل المدينة وسعتها والمناطق التي تحيطها والتخطيط العام. كما أكد الرحالة وجود سور يحيط المدينة مع وجود ثلاثة أبواب للمدينة، احداها في الجنوب الشرقي، والثاني في الجهة الشمالية الشرقية، والثالث هو الباب الرئيسي لامتداده من طريق كثير الإستخدام الى المنطقة الأكثر نشاطا في المدينة حيث يوجد السراي وساحة للعب الجريد وسوق كبير، ويقع هذا الباب في الشمال الغربي من المدينة، يضاف لما سبق باب آخر دعاه بباب الجسر مر من خلاله الرحالة ليعبر الجسر المؤدي الى المنطقة الواقعة غرب دجلة. عموما فان السور يحيطه خندق فارغ غير عميق. من جهة أخرى تظهر وصوفات الرحالة ان هناك قسم آخر لبغداد يقع على الضفة الغربية لنهر دجلة ويصل جسر من القوارب بين القسمين. وهذا القسم محاط بسور أشار له الرحالة بالسور الغربي والذي يضم على الأقل بابا واحدة، أما المنطقة بعد الخروج من هذه الباب فعبارة عن صحراء قاحلة.

وبالنسبة للمناطق الممتدة شمال وشرق بغداد على مدى الرؤية فتبعا للرحالة فانها أراض خالية يندر وجود شجرة أو قرية فيها، في حين تقع قرية كبيرة الى الشمال الغربي من بغداد، وطولها حوالي نصف ميل وتحيط القرية بساتين النخيل، كما تضم القرية في وسطها مسجد الإمام موسى الكاظم. ويشير بكنغهام لهذه القرية بقرية الكاظم، والتي، تبعا له تقع بغداد القديمة (بغداد المنصور) الى الجنوب الشرقي منها. عموما فان تخطيط المدينة المسورة على الضفة الشرقية ضم مساحات واسعة خالية من الأبنية وبخاصة الجانب الشمالي الشرقي منها، أما القطاعات المأهولة فتبرز منها المناطق القريبة من النهر والتي تضم الكثير من الأشجار مما دفع الرحالة للقول: "وكأنه أشبه بمدينة تبرز من وسط بساتين النخيل، أو أنه أشبه بما كانت عليه بابل كما يظن، أي أنه اقليم مسور وليس مدينة واحدة".[بكنغهام، ص129]. أما المنطقة الواقعة الى الغرب من نهر دجلة وبعد عبور الجسر الرابط فقد وصفها الرحالة بانها تضم سلسلة من الشوارع والأسواق المشابهة لتلك الواقعة في الجانب الشرقي، كما تضم تكية للدراويش.

-أما بالنسبة **لمسارات المدينة** فان اشارة بكنغهام للصحة العامة لمخطط نيبور يؤكد استمرارية نمط تخطيط الشوارع والأزقة خلال هذه الفترة والذي كان أساسه النمط الغير هندسي أو الغير منتظم. عموما ذكر الرحالة ان شوارع بغداد، كانت ضيقة غير مبلطة كثيرة التعرج والإلتواء يتألف جانباها في العادة من جدارين مجردين يندر وجود شبابيك فيها تطل على الشارع العام. وتبعا للرحالة فانه عدا بعض الأسواق المستقيمة وبعض الساحات القليلة فان مخطط بغداد يتشكل من عقد ممرات وازقة. ويمكن القول ان الشوارع المهمة التي أشار بكنغهام لوجودها هي الشوارع الممتدة من مداخل وبوابات المدينة الى داخل المدينة، ومن أمثلتها الشارع الممتد من البوابة الشمالية الغربية الى السراي، وكذلك الشارع الذي تقع عليه بناية المدرسة المستنصرية فهو قريب من الجسر لانه يقع على جهته اليمنى عند عبوره من الجانب الغربي وعلى ضفة النهر مباشرة، كما أنه تبعا للرحالة يعد من أوسع الشوارع العامة في بغداد. أما شوارع القسم الغربي لبغداد فاكتفى الرحالة بوصفها بانها مزدحمة ومن نفس الصنف الذي يقع في الناحية الشرقية. أما المسار الرابط بين المدينة الشرقية والضاحية الغربية فكان عبارة عن جسر متخلخل مؤلف من قوارب ويبلغ طوله أقل من 600 قدم.

-أما بالنسبة **لمواقع تجمع النشاطات الإنسانية،** فقد أظهرت وصوفات الرحالة، بان مناطق النشاط السكاني تتركز وتزداد من حيث أنماط الفعاليات التي تضمها كلما اتجهنا باتجاه النهر، إذ تتركز فعاليات متنوعة (جوامع، أسواق، مساكن، مدارس، السراي،...) في المنطقة القريبة من النهر، كما تضم باقي المناطق الداخلية للمدينة المسورة الشرقية أيضا القطاعات السكنية، والدينية. أما القطاع الإداري والسياسي فقد تركز في الشمال الغربي من المدينة قريبا من الباب الثالث، في حين تركز القطاع العسكري في مناطق القطاع الإداري وبالقرب منا، وكذلك في مناطق الأسوار والأبراج والمداخل. أما بالنسبة للعقد، فقد أشار الرحالة الى وجود ساحة الميدان على الطريق من الباب الشمالي الغربي الى القصر، كما أشار الى وجود أرض أعدت للعبة الجريد التركية بالقرب من الباب الشمالي الغربي. عموما أكد الباحث وجود عدد قليل من الساحات المكشوفة في المدينة.

-أما **المعالم الطبيعية** فقد أظهرت الوصوفات نهر دجلة كأبرز معلم طبيعي ضمن المدينة.

- وبالنسبة **للحافات** فان أبرز الحافات الإصطناعية في المدينة تبعا للرحالة كانت الأسوار الشرقية والغربية المحيطة بالمدينة بالإضافة الى الحافة النهرية الطبيعية التي تقسم المدينة الى قسمين على جانبي النهر.

-وبالنسبة **لخط السماء في المدينة ومظهرها العام**، فقد اشار الرحالة بان المدينة تقع على سهل مستو يخلو من مناظر بارزة عدا قباب ومآذن المساجد، وتبعا له فان القباب ليست كبيرة او متعددة. كما أكد الرحالة بان المناظر الموجودة داخل المدينة لاتتناسب مع مايتوقعه المرء عن مدينة كانت عاصمة لإمبراطورية شرقية مهمة وغنية، فمساحات كبيرة داخل الأسوار خلت من المباني، حتى أنها كانت أشبه باقليم مسور وليس مدينة قوية التحصين. كما أن معظم أبنيتها مبني بآجر قديم مما يؤثر على مظهر المباني، وشوارعها ضيقة غير مبلطة، ولاتضم الا القليل من الساحات المكشوفة وبعض الأسواق المستطيلة المستقيمة.

ثانياً: أما على المستوى المعماري: فقد أشار الرحالة لوجود العديد من المباني التي بالإمكان تصنيفها ووصفها تبعا لأنماطها الوظيفية، وكما يلي: [يكنغهام، ص191-230]

-بالنسبة **للمساكن** فان الدار تتشكل من مجموعة غرف تنفتح على فناء داخلي مربع، كما تضم البيوت السراديب، وهي غرف تبنى داخل الأرض يلجأ اليها السكان اتقاءا من حر النهار. أما الاروقة في الدار فتستخدم لتناول وجبة المساء أو النوم فيها ليلا، كما ان العادة لدى العوائل البغدادية النوم في السطوح. وتبعا للرحالة فان ابواب المساكن صغيرة وضعيفة، وهي اما مقوسة أو مسطحة من الأعلى تعلوها نقوش آجرية منحوتة. وقد كان مبنى القنصلية الإنكليزية عبارة عن دار كبيرة ذات فنائين.

-أما **المباني العسكرية والدفاعية والتحصينية**، أشار بكنغهام الى ان السور المحيط ببغداد تم تشييده واصلاحه خلال فترات مختلفة، وهو مبني بالآجر وبانواع مختلفة تبعا للتاريخ الذي شيد فيه. ويضم السور ابراجا كبيرة مدورة عند الزوايا وأخرى صغيرة تتوزع مابين الأبراج الكبيرة وعلى مسافات قصيرة بين أحدها والآخر. وتضم الأبراج هذه بطاريات مدافع للدفاع عن المدينة. وتبعا للرحالة فان اقدم أجزاء السور هو أفضلها بناءا، وهذا الجزء القديم يظهر في اثنين من الأبراج الواقعة في الزوايا قريبا من باب الوسط، وهما مبنيان بالآجر الأصفر ومن النوع الجيد، مع وجود كتابة مستطيلة تأخذ شريطا عريضا في الجزء الشمالي من هذين البرجين. وعموما فان تحصين بغداد تبعا للرحالة يبدو ضعيفا مقارنة بالمدن الأوربية التي تشابهها في الموقع.

-أما **المبنى الإداري** وهو السراي _قصر الباشا فكان يتألف من بناية واسعة قريبة من ضفة النهر، يضم داخله غالبية الدوائر العامة ذات المرافق الكبيرة للحاشية مع اصطبل للجياد وفضاءات للخدم. وتبعا لبكنغهام فانه على الرغم من ان السراي مبنى عصري نسبيا إلا أنه يؤلف مجموعة أبنية غير منتظمة تفتقر الى الجمالية والقوة.

-وبالنسبة **للأبنية الدينية**، فقد اشار الرحالة الى اختلاف طراز المساجد في بغداد عن المساجد في معظم أجزاء تركيا. وقد ابتدأ بوصف جامع سوق الغزل داخل المدينة المسورة والذي لم يبق منه الا المئذنة وجزء قليل من جدرانه الخارجية. والمأذنة قصيرة سميكة مبنية من آجر متقاطع بشكل زوايا منحرفة. ويعلو بدن المأذنة المقرنصات يصفها الرحالة بانها تضم زخارف كالرواسب الكلسية المتدلية وذلك لغاية ثلثي ارتفاع المأذنة ثم تتلاشى بالتدريج لتنتهي عند صحن المأذنة، أما جزء المأذنة الذي يعلو الصحن فهو قصير وذو نهاية مدورة. وتحمل جدران المأذنة مايشير الى أنها كانت مزينة بنقوش عربية وكتابات.

أما جامع مرجان القريب من جامع سوق الغزل فانه تبعا لبكنغهام ذو واجهة غنية بالنقوش العربية، وعلى الرغم أن بناؤه حديث فانه يضم آثار قريبة في قدمها من جامع سوق الغزل. ويتألف باب هذا الجامع من قوس عال ينتهي من الجانبين بسلسلة من أشرطة منحوتة جيدا، ترتفع على الجانبين لتلتقي في القمة موازية للقوس. وتلي هذه الأشرطة قوائم أشبه بالعمود مخططة لولبيا على كامل ارتفاعها. عموما فان هذه التفاصيل للمداخل ضمت كتابات ونقوش دقيقة. وجامع الخاصكي، الذي يقع أيضا داخل المدينة المسورة، أيضا يشبه الجامعين السابقين غير أنه لم يبق منه الا قسم صغير يضم محراب مجوف الشكل يضم شكلا مروحيا مميزا في اعلاه يعلوه قوس دائري يسميه الرحالة بالقوس الروماني يجلس على عمودين صغيرين ذو حزوز لولبية ومزدانان بالأزهار، ويجلس كل منهما على قاعدة مربعة، كما يوجد افريز يمتد بين عمود وآخر حول الرواق. كما يضم أسفل مؤخرة المحراب شريطا من حفر دقيق لأشكال زهرية منفذة على مرمر أبيض. عموما وتبعا للرحالة فان البناء الظاهر للجامع يبدو انه حديث وبسيط وضعيف مقارنة بالأصل القديم، ويضم نقوش من كتابات عربية. كما تبدو المئذنة، المغلفة بالكاشي الملون (أسود، أخضر،...) مع استخدام الآجر، حديثة العهد دون أي تتميز لا في الشكل ولا في البناء. أما جامع الوزير في ساحة الميدان فيقع قريبا من باب الجسر، ويمتاز بمئذنته العالية وقبته الجميلة تبعا للرحالة. كما يشير الرحالة لجامع آخر يقع في ساحة الميدان على الطريق من الباب الشمالي الغربي الى السراي والمقيمية البريطانية. عموما يجمل الرحالة

وصف الجوامع الأخرى في بغداد بانها كانت متشابهة نسبيا، إذ لم تحمل صفة خاصة بها، وان عدد المساجد في المدينة قد يتجاوز المئة مسجد حوالي ثلاثين منها فقط تضم منائر، أما الباقي فهي أماكن عبادة واضرحة أومصليات.

أما مسجد الإمام موسى الكاظم والذي كان يقع في وسط قرية الكاظم تبعا للرحالة فان أهم مظاهره كانت القبتان المغلفتان بالذهب والمحاطتان بالنقوش والكتابات، كما تحيطهما أربعة منائر عالية مزينة بالكاشي الملون، وتنتهي المنائر بالشرفة ماعدى واحدة منها تحتفظ ببدن المئذنة والقبة فوق الشرفة. أما بالنسبة للمسجد نفسه فكان عبارة عن مبنى كبير يقع وسط ساحة كبيرة يحيطها سور عالي جيد البناء. أما خارج أبواب المسجد فكانت تباع سلع متنوعة برز منها المسابح والمحابس و الأقراط و... .

وبالنسبة لقباب الجوامع والمساجد وتبعا للرحالة فان هناك اثنتان الى ثلاثة من القباب المهمة مستوية الشكل وذات سطح منبسط، أما الرئيسية فهي عالية ضيقة وارتفاعها قد يتجاوز قطرها بحوالي النصف. عموما فهو يطلق على القباب في بغداد تسمية القباب الفارسية. وعموما فانها تزخرف بالكاشي المزجج والذي يضم الرسوم، أما الالوان المستخدمة فيغلب عليها الأخضر والأبيض وهي نفس الطريقة التي استخدمت لتزيين المآذن، كما ان هناك كتابات تنفذ بنفس الطريقة وعلى شكل اشرطة تغلف قاعدة القبة، كما يعلو القباب والمآذن في بغداد قضيب أخضر مرتفع ينتهي بكرة يعلوها هلال.

أما قبر زبيدة، الواقع في الضواحي الواقعة غرب نهر دجلة، فكان عبارة عن مبنى ذو قاعدة مثمنة الزوايا، وفوق القاعدة المثمنة قبة عالية مدببة متميزة شكلا ارتفاعها حوالي 30–40 قدما. ويتم الدخول الى الضريح من السقيفة الخارجية عبر ممشى ذو سقف معقود. أما جدران قاعدة الضريح فكانت مطلية بالبورك الأبيض، كما يضم الضريح أيضا كتابات مختلفة. عموما فان القبة، التي شبهها الرحالة بقرص السكر، كان سطحها الداخلي مغطى بالأقواس المدببة والمحاريب المجوفة .

وبالنسبة للتكايا أشار بكنغهام الى تكية مبنية بالآجر تقع في الجانب الغربي من نهر دجلة، مشيرا الى أنها كالمباني المهمة الأخرى في بغداد تم بنائها من نفس المواد التي تبنى منها الأبنية الفخمة في أوربا في وقت الزيارة. فالمبنى يضم في واجهته قوس عالي جدا ذو شكل غوطي تبعا لبكنغهام، كما يضم أشرطة كبيرة على جوانبه تضم زخارف كتابية كوفية بارزة.

-أما **المباني التجارية** فقد أشار الرحالة الى أن الأسواق عديدة وتتألف عادة من أزقة طويلة مستقيمة معتدلة العرض، وأحسنها ذو سقف معقود بالآجر، إلا أن معظمها مسقف بالخشب الذي يستخدم لأسناد السقف الذي يغطى بالقش والأوراق والأغصان، ومن هذه الأسواق سوق تباع فيه الغزول يدعى سوق الغزل يقع داخل المدينة المسورة الشرقية. وهناك سوق الموسلين أو سوق البغتة ويتألف من شارع طويل يمتد من جامع مرجان، ويمتاز بوجود شريط من كتابات عربية قديمة منقوشة بانتظام تعلو كل حانوت يعتقد انها معاصرة للسوق نفسه وهو قديم جدا. كما أشار الرحالة الى وجود سوق كبيرة قريبا من السراي وساحة للعبة الجريد.

-وبالنسبة **للخانات أو الكروان سرايات** فقد كان عددها حوالي الثلاثين، ومن بينها خان الأورطمة والمشيد من آجر معتم اللون وملاط أبيض، ويمتاز بزخرفته التي على شكل رواسب وتجاويف معلقة ومايشبهها.

-أما **الحمامات** فقد يصل عددها لأكثر من خمسين في بغداد، أحسنها مشيد جداره العاري بالآجر الذي يغلف في مناطق معينة بالكاشي الذي يضم صور لطيور وزهور، أما أرضيته فبسيطة.

-وعلى العموم فان مادة بناء الأبنية العامة والخاصة، تبعا لبكنغهام، كان الآجر الصغير الحجم وذو زوايا مدورة وباللون الأحمر المصفر. كما أن معظم الآجر المستخدم يظهر أنه استخدم قبلا أو أنه نقل من مباني قديمة أخرى لإعادة استخدامها. وتبعا لما سبق فأنه نادرا ما يبدو مظهر الأبنية منسقا ونظيفا وذلك فقط عندما يكون الآجر جديدا.

10–1–4 الصورة الخاصة بطروحات الرحالة جيمس ريموند ولستيد James R. Wellsted 1830م

زار الرحالة الإنكليزي ولستيد بغداد أواخر الفترة المملوكية سنة 1830م، وطرح مشاهداته عنها عام 1840م ضمن كتاب باسم "Travels to the City of the Caliphs". [Al–Hajiri, 143–153]. والصورة التي سيتناولها البحث الحالي تستند على ترجمة للفصول الخاصة ببغداد من كتابه أعلاه.[ولستيد] أما بالنسبة العناصر المكونة لصورة المدينة تبعا لولستيد فكانت:

أولا: على المستوى التخطيطي والحضري: [ولستيد، ص37–44، 62–89]

-بالنسبة **للمخطط العام والموقع** تقع بغداد في سهل مستو واطئ يقسمه نهر دجلة الى قسمين، أحدهما في الجهة الشرقية للنهر وهو القسم الكبير، والآخر على الجهة الغربية للنهر، ويتم الربط بين القسمين بواسطة جسر مصنوع من القوارب. ويحيط

القسم الشرقي من المدينة سور محاط بدوره بخندق . وهناك ثلاثة بوابات للمدينة ضمن هذا السور، أحدهما في الجهة الشمالية الغربية والأخرى في الجهة الشمالية الشرقية والثالثة في الجزء الجنوبي الشرقي، علما أن مساحات كبيرة من المدينة تغطيها بساتين النخيل.

-أما بالنسبة **للمسارات** في المدينة فلا توجد اشارات صريحة لها ماعدى مايمكن استنتاجه من الوصف، إذ يبدو أن هناك مسارات رئيسية تنتهي عند بوابات المدينة الرئيسة الثلاثة ومسار آخر عبارة عن جسر من القوارب يربط قسمي المدينة على جانبي النهر. وبالنسبة للأزقة السكنية فيصفها الرحالة بالضيق وانها وسخة ومظلمة ورطبة غالبا ما لاتدخلها أشعة الشمس نهارا ولايزيد عرضها عن تسعة أقدام، في حين تغلق الأقسام العليا تغلق عادة بالنوافذ. عموما فقد أشار الرحالة الى أن بوابة بغداد الشمالية الغربية كانت تؤدي اليها عدة طرق معبدة جيدا.

-أما بالنسبة **لمناطق تجمع الفعاليات البشرية** فان الفعاليات الإدارية والخاصة بالحكم تجمعت في القسم الشمالي الغربي من المدينة. أما بالنسبة للحمامات والمدارس والكروان سراي أو الخانات والجوامع فيستشف من وصوفاته– والتي تحددت بوصف القسم الكبير من بغداد والواقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة– فانها توزعت داخل المدينة ولاسيما المناطق الوسطية والمناطق القريبة من النهر. أما المناطق السكنية فقد توزعت داخل المدينة المسورة. وتبعا للرحالة فقد تركت أقسام كبيرة من المدينة التي تشغل فراغا مساحته سبعة أميال خالية من المساكن وانما تغطيها بساتين النخيل.

-أما **حافات المدينة** فان الطبيعية منها تمثلت بنهر دجلة الذي يقسم المدينة الى قسمين ويحدد الحدود لأحد جوانب كلا القسمين، أما الصناعية فتمثلت بالأسوار والخندق المحيط بالقسم الواقع على الضفة الشرقية من المدينة، في حين لم يتطرق الرحالة للسور المحيط بالقسم الواقع على الضفة الغربية لدجلة لكن اشارته الى انه دخل بغداد من البوابة الشمالية الغربية والتي تصل اليها عدة طرق معبدة كما تصل من كل الجهات الى مبنى قبر زبيدة الذي يقع ضمن مقبرة تقع خارج أسوار المدينة مباشرة يدل على ان البوابة التي يتحدث عنها تقع على السور المحيط بقسم المدينة الواقع على الجانب الغربي لنهردجلة، خاصة اذا ماعرفنا ان قبر زبيدة يقع في ذلك القسم. عموما فان المناطق القريبة من هذه البوابة امتازت بكثرة البساتين المسورة بجدران من الطين وعلى شكل مجموعات متناثرة وهذه البساتين وجدرانها تمتد حتى حدود النهر، وكأنها تحد المناطق المأهولة. وماعدا هذه البساتين فان الريف الواقع في الوسط لهذا الجزء من المدينة يمثل أرضا واسعة منبسطة خالية من الأشجار والقرى.

-أما بالنسبة **لخط سماء المدينة ومظهرها العام،** فقد امتازت المدينة بسيطرة القباب المذهبة ومآذنها وغيرها من المعالم الفخمة للمساكن الشرقية على خط سماء بغداد. وبالنسبة لمظهرها فتبعا للرحالة فان مظهرها الحالي يتناقض مع مجدها السالف حيث تبرز المدينة كمجموعة من أزقة ضيقة مظلمة ورطبة، كما تتميز بقبابها المغلفة بالكاشي المزجج والتي تتلألأ حين تسطع أشعة الشمس عليها فتضفي جوا من البهجة والحيوية الغير مألوفتان بالنسبة لمظهر المدينة العام المظلم.

ثانياً: أما على المستوى المعماري: فقد أشار الرحالة لوجود العديد من المباني التي بامكان أي باحث تصنيفها تبعا لأنماطها الوظيفية، وكما يلي: [ولستيد، ص42–44، 62–89]

-**المباني السكنية** وتكون عادة مربعة الزوايا وجدرانها المطلة على الشارع صامتة، أما داخل البيت فيضم فناءا مبلطا ونظيفا قد يضم نخلا أو نافورة، وتنفتح الفضاءات الداخلية ونوافذها على هذا الفناء. وقد تضم بيوت الطبقة الغنية أربعة قطاعات ذات أفنية مع رواق صغير وباب يربط بين هذه القطاعات، أما المدخل أو الرواق البعيد عن الشارع فيخصص لقطاع الحرم المخصص للنساء في البيت. أما الرواق الخارجي القريب من الشارع فيدعى الديوان ويكون مفتوحا للضيوف دائما ويضم دكة يجلس عليها الخدم. وتتألف البيوت عادة من طابق واحد، والغرف المحيطة بالفناء عالية، كما يمتد رواق مسقف بارتفاع ستة أقدام تنفتح عليه مجموعة من الغرف. أما مايميز هذه المساكن فهو وجود السرداب تحت الأرض يلجأ اليه السكان عند ارتفاع درجات الحرارة. أما السطوح فمستوية تقسمها الجدران ويستخدمها الناس للنوم صيفا. كما تضم الجدران المطلة على الأزقة نوافذ تمتد لتبرز على الشوارع والأزقة لذلك غالبا ماتغلق الأقسام العليا للأزقة. وعموما فان مظهر البيوت القريبة من الشوارع ليس فيه مايلفت الانظار، أما الداخل فغالبا ما يضم أثاثا بسيطا، إلا أن الجدران تغلف بالمرايا المزينة، كما تغطى السقوف بنقوش خشبية محفورة. وفي بيوت الأغنياء تستخدم الفرش القرمزية المصنوعة والمطرزة بخيوط الذهب والفضة وذلك فوق الفرش والأسرة كما يغلف السجاد الفاخر الأرضيات.

-أما **المباني العسكرية والدفاعية والتحصينية**، فقد وصف الرحالة السور المحيط بقسم المدينة الواقع شرق نهر دجلة مؤكدا احاطته بخندق غير مغلف، علما أن السور شيد باكمله من الآجر وتم ترميمه في فترات مختلفة، كما ضم السور أبراجا مدورة بمسافات منتظمة استخدمت للدفاع عن المدينة عبر نصب المدافع عليها. أما البوابات في السور فكانت تتألف من أواوين عالية مدببة الشكل. عموما يصف الرحالة تحصينات المدينة بانها ضعيفة لكنها كافية في بلاد لايتم فيها جلب المدفعية الى الميدان.

-وأما **المباني الإدارية الخاصة بالحكم**، فقد أشار الرحالة الى قصر الحاكم الذي يمثل المبنى الرئيسي في القسم الشمالي الشرقي من المدينة واصفا اياه بانه مجمع سيء التنظيم شيد أصلا في فترات مختلفة دون مراعاة أي تخطيط أصيل في انشائه، ويضم الكثير من الدوائر العامة ويضم غرفا للباشا وللموظفين واصطبلات. وبالنسبة لغرفة الإستقبال في القصر فقد كانت فخمة التزيين وسقفه وجدرانه مزين بمنحوتات خشبية مذهبة ويضم مقاعد حمراء وستائر وسجاجيد ثمينة.

-وبالنسبة **للأبنية الدينية**، اشار الرحالة لوجود مالايقل عن مئة مسجد جميعها مبنية بالآجر الصغير الحجم وباللون الأصفر والأحمر. علما د أن المباني القديمة أو أجزاءها والتي لاتزال قائمة هي أحسن من ناحية البناء مقارنة بالحديثة، كما في جامع سوق الغزل.، القديم العهد، إذ يشغل مساحة مستطيلة ويتالف من قسمين: الأول عبارة عن صحن مكشوف محاط بجدار متهدم، والثاني هو بناء مربع الشكل بارتفاع حوال ستين قدم وترتقيه قبة يشير لها الرحالة بأنها من طراز فارسي. وتبعا لولستيد فان قبة المسجد تغلف بأنواع مختلفة من الكاشي المزجج. أما المأذنة الرشيقة والمضيئة فهي أقل ارتفاعا من نظيراتها في المدن الشرقية، وتزينها مشاكي معلقة وأجزاء أشبه بالرواسب المتدلية من سقوف الكهوف، والظاهر أنه يقصد المقرنصات، اضافة الى زخارف أخرى معتادة في العمارة التركية والعربية. ويصف الرحالة المأذنة بانها عمود يبدأ بالإنتفاخ باتجاه الخارج في حوالي ثلثي ارتفاعه لينتهي بصحن بشكل رواق صغير. وقد استخدمت في المساجد نقوش عربية دقيق للنقش على الآجر والأبواب والأجزاء الثابتة من البناء، كما زينت الأروقة بأشرطة تزيينية و الواح مرمرية منحوتة ضمت أشكال زهور وأصصا وغيرها أو كتابات بالخط العربي، وهذه كانت تؤطر الأبنية الدينية تأطيرا تاما. أما الأقواس المستخدمة في الأروقة فمدببة. أما داخل المسجد فلايضم الا القليل جدا من المناظر، كبيض النعام، ومصابيح قليلة تمتد من السقف، كما تغطى الأرضيات بالحصر والسجاجيد. وأشار الرحالة أيضا الى وجود مايصفه بأنه تجويف صغير مثلث الشكل يخلو من الصور والتماثيل في جدار المسجد باتجاه مكة.

اشار الرحالة أيضا" الى أن آثار تكية القلندرية الواقعة على الجانب الشرقي من بغداد. أما النسبة للمقابر فقد أشار الرحالة الى قبر زبيدة الواقع فوق نجد منحدر وضمن مقبرة كبيرة تقع خارج أسوار المدينة مباشرة، وكان عبارة عن بناء مثمن الشكل وله برج مستدق. ويضم المبنى نمطين من النوافذ: العليا منها منبسطة الشكل، أما الأخرى فعبارة عن قوس مدبب. أما البرج فعبارة عن مخروط حاد تزينه من الخارج تقسيمات محدبة تقابلها عقود مجوفة من الداخل. كما استخدم القار لطلاء المباني.

-أما بالنسبة **للأبنية التعليمية** فقد اكتفى ولستيد بالإشارة الى أنه كانت تلحق بكل جامع مدرسة مؤكدا بان آثار مدرسة المستنصرية او كلية العلوم لاتزال باقية لغاية زمن الرحلة.

-وبالنسبة **للمباني التجارية** من أسواق محلات وخانات فقد أشار الرحالة الى أن الأسواق كانت تقسم الى مجاميع منفصلة تبعا لطبيعة الأعمال ونوع البضاعة التي تباع فيها وتقع كل واحدة منها في شوارع خاصة بها. واكبر هذه الأسواق تبعا لولستيد هو سوق الحارة حيث تباع فيه الأقمشة والمنسوجات والأسلحة وكلها من الأنواع الغالية، وهناك أيضا سوق للأحذية وأسواق للعطور وأخرى للمجوهرات وهكذا. عموما فان الشوارع الضيقة لهذه الأسواق تكون أما معقودة بالآجر أو تسقف بالأغصان أو القماش الخشن الذي يربط بحبال تمتد من سقف لآخر. وتتألف حوانيت الباعة، والتي تصطف على جانبي السوق، من غرفة بواجهة مفتوحة ترتفع أرضيتها عن مستوى الشارع بحوالي ثلاثة اقدام، ولاتزيد مساحة الغرفة عن ثمانية أقدام.

-أما **الخانات أو منازل المسافرين** في بغداد فتبعا لولستيد فانها وبالرغم من كثرة عددها فانها لاتستحق الوصف عد مقارنتها بخانات أخرى تقع في مدن شرقية تاتي بالدرجة الثانية. أما **حمامات** بغداد فانها تبعا للرحالة من نوع غير مألوف لأنها لاتتبنى بالمرمر كما هو الحال في اسطنبول والقاهرة وانما لندرة هذه المادة في المنطقة فقد استعيض عنها بالآجر والقار.

2-10 الصورة المعمارية الجامعة لمدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي تبعا لطروحات الرحالة الأجانب

مما سبق أمكن التوصل الى وضع صورة معمارية واضحة وجامعة نوعا ما لمدينة بغداد (والتي تشمل مناطق مركز ولاية-باشلق بغداد) وعلى المستويين الحضري والمعماري وذلك خلال الفترة المملوكية.أما مكونات هذه الصورة فكانت كالتالي:

أولا: على المستوى التخطيطي والحضري:

- **بالنسبة للمخطط والموقع العام:** تقع بغداد على ضفاف نهر دجلة في منطقة سهلية منبسطة وواطئة ويقسمها النهر الى قسمين، هما:

1- القسم الواقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة (الرصافة): ويمثل القسم الأكبر من المدينة، ويمتاز بالأسوار التي تحيطه ماعدى من جهة النهر. وقد ضم هذا القسم المركز الحكومي والمدني والعسكري طوال فترة الحكم المملوكي في بغداد، اضافة الى احتوائه على القطاعات السكنية والعامة (الدينية، التعليمية، التجارية، ...الخ). ويرجع بدايات ظهور هذا القسم الى تاريخ قريب جدا من تأسيس مدينة المنصور المدورة سنة 145هـ/762م وذلك أوائل العصر العباسي. [مصطفى جواد وآخرون، ص24] اما السور المحيط بهذا القسم، والذي كان موجودا طوال فترة الحكم المملوكي لبغداد واستمر بعدها، فيعود انشائه الى أواخر الفترة العباسية، أي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي .

2- القسم الواقع على الضفة الغربية لنهر دجلة (الكرخ): يمثل القسم الأصغر من المدينة وبخاصة بعد أن تم تحديد حدودها باضافة سور يحيطها، عدى جهة النهر، أنشأ السور الوالي سليمان باشا الكبير الذي كان يحكم المدينة خلال زيارة أوليفييه لها سنة 1794-1796م، أما قبل هذه الفترة فلم يكن هناك من سور يحدد الجانب الغربي من مدينة بغداد. وقد أشار كل من بكنغهام 1816م وولستيد 1830م لهذا السور في حين لم يشر له أو يذكره نيبور1765م. ولعل ظهور هذا السور في فترة متأخرة، وتحصيناته الأضعف مقارنة بالسور المحيط بالقسم الشرقي من المدينة، اضافة الى وجود المركز المدني والعسكري والحكومي في المدينة الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة من ضمن الأسباب التي جعلت معظم الرحالة يصفون الجانب الواقع على الضفة الغربية لنهر دجلة على أنه قسم أو ضاحية تابعة للمدينة الواقعة على الضفة الشرقية للنهر، ماعدا ولستيد 1830م الذي أشار بوضوح الى أن بغداد مؤلفة من قسمين الأكبر منها يقع في الجانب الشرقي.

عموما فان بدايات ظهور القسم الغربي (الكرخ) يعود أيضا الى أوائل العصر العباسي، وبالذات الى المرحلة التي تم فيها نقل أسواق مدينة المنصور الى الجنوب من المدينة المدورة فنشأت أسواق الكرخ [مصطفى جواد وآخرون، ص24-27]، وبمرور الزمن صار الكرخ إسما يستخدم ليشير الى كل المنطقة التي تقع الى الغرب من نهر دجلة. كما ان هذه الضاحية او القسم الغربي من مدينة بغداد كانت تمتد باتجاه الشمال الغربي لتنتهي عند مايعتقد انه آثار بغداد القديمة (بغداد المنصور). ولابد من الإشارة الى ان هذا القسم الغربي من بغداد ضم كلا من المباني السكنية والعامة بالإضافة الى بعض التحصينات العسكرية وبخاصة بعد بناء الأسوار والبوابات التي أحاطت بهذا القسم الغربي أواخر القرن الثامن عشر، كما ضمت الضواحي الغربية في أوائل العصر المملوكي الكثير من بساتين النخيل الخالية من السكان وذلك.

كما ضمت بغداد خلال فترة الحكم المملوكي عددا من المناطق أو الضواحي (والتي أطلق عليها بعض الرحالة تسمية قرى) المحيطة بها والقريبة منها والتي قد ترتبط بقسمي المدينة عبر مسارات حركة أساسية تنطلق من أسوار وبوابات المدينة. ومن أبرز هذه الضواحي:

- ضاحية المعظم أو الأعظمية ووتتمثل بالمنطقة المؤسسة حول جامع ومشهد الإمام الأعظم (أبي حنيفة)، وتقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة والى الشمال الغربي من مدينة بغداد الواقعة على الجانب الشرقي من دجلة، وتبعا لأوليفييه فانها تقع على بعد نصف فرسخ من مدينة بغداد الشرقية.
- ضاحية الكاظم أو موسى الكاظم وهي قرية كبيرة طولها تبعا لبكنغهام 1816م حوالي نصف ميل وتقع على الضفة الغربية لنهر دجلة ومقابل ضاحية المعظم وتحيطها بساتين النخيل، وتبعا لأوليفييه 1794-1796م فانها تقع على بعد فرسخ من مدينة بغداد الشرقية وربع فرسخ من النهر. وهذه الضاحية مؤسسة حول مرقد الإمام موسى الكاظم.
- أما أطراف بغداد، وبخاصة المناطق المحيطة بقسمي المدينة الواقعين على جانبي النهر، فانها ظهرت كالتالي: بالنسبة للمناطق الواقعة شمال وشرق بغداد وعلى مدى الرؤية فانها كانت أراض خالية يندر وجود شجرة أو قرية فيها، وكذلك

الحال بالنسبة للمنطقة الواقعة خلف أسوار جزء المدينة الواقع على الضفة الغربية لدجلة، إذ كان عبارة عن صحراء.

أما بالنسبة للتخطيط العام للمدينة وفيما يتعلق بالقسم الواقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة فان من الواضح ان تخطيطها وشكلها وسعتها والمناطق المحيطة بها لم تتغير كثيرا وانما استمرت كما هي تقريبا منذ بداية الحكم المملوكي وحتى نهايته، إذ أكد بكنغهام 1816م صحة المخطط الذي وضعه نيبور 1765، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فان امتداد بغداد خلال أواخر القرن الثامن عشر يشبه امتدادها خلال منتصف القرن السابع عشر، وهذا ماأكده تافرييه 1794–1796، إذ تراوح امتداد

أسوارها مابين الفين خطوة هندسية طولا واكثر من الف عرضا".

إجمالا يمكن القول ان مخطط القسم الشرقي من المدينة أقرب للمستطيل الذي يوازي ضلعه الطويل نهر دجلة ويطل عليه. والمدينة محاطة بسور وخندق من ثلاثة جهات عدى جهة النهر تخلو من الأسوار وانما تضم أبنية متنوعة تطل على النهر. ويضم السور الذي يحاط بخندق أيضا أربعة أبواب لم يبق منها خلال فترة الحكم المملوكي الا ثلاثة، إذ تم إغلاق أحدها في عهود سابقة للحكم المملوكي، وكان يدعى بباب الطلسم، ويقع الى الجنوب من الباب الوسطاني ويضم برجا ضخما. أما الأبواب الثلاثة الباقية فهي كالتالي: الأول يقع الجنوبي الشرقي ويدعى بباب قروولوق قابي، والثاني يقع في الشمال الشرقي ويدعى بالباب الوسطاني أما الثالث فيقع في الشمال الغربي من المدينة، ويدعى بالباب المعظم والذي عده بكنغهام الباب الرئيسي للمدينة لوقوعه على طريق يستخدم بكثرة كما يمتد الى مناطق مهمة ونشطة في المدينة كالسراي والقلعة والأسواق. ويضاف للأبواب الثلاثة السابقة باب رابع وحيد في جهة النهر يؤدى الى الجسر الوحيد الذي يربط بين قسمي مدينة بغداد الواقعين على ضفتي نهر دجلة، وكان يدعى صو قابي (باب الماء أو الجسر). وتبعا للوصوفات فان مساحات كبيرة من المدينة خلال فترة الحكم المملوكي كانت خالية من الأبنية، كما ظهرت مساحات كبيرة تغطيها بساتين النخيل. وقد ظهرت المساحات الخالية من الأبنية وبخاصة في المنطقة المحصورة مابين الأسوار في الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية من المدينة والمساكن داخل المدينة. أما المناطق المأهولة فقد تمثلت بالمناطق الوسطية وكذلك المناطق القريبة من النهر والتي كانت تضم الكثير الأشجار وبخاصة النخيل.

أما بالنسبة لتخطيط جزء مدينة بغداد الواقع على الضفة الغربية لدجلة فان من الواضح ان هذا الجزء لم يكن له شكل خارجي هندسي منتظم وحتى بعد احاطته بسور وخندق نهاية القرن الثامن عشر. وقد ضم هذا السور أيضا عددا من الأبواب.

وعموما فان مراجعة الطروحات والمخططات تظهر الى أن تخطيط كلا قسمي المدينة الواقعين على ضفتي النهر يتبع نمط التخطيط الغير هندسي_الغير منتظم، كما يظهر النهر كأبرز العناصر المؤثرة على التصميم، إذ تتركز المناطق المأهولة وتزداد أعداد الأبنية وتتنوع أنماطها الوظيفية كلما تم الإقتراب من النهر، وخاصة في القسم الواقع على الضفة الشرقية لدجلة، في حين تقل كلما اتجهنا باتجاه الأسوار وأطراف المدينة. أما بالنسبة لتخطيط ضاحيتي أو قريتي المعظم والكاظم فانها كانت عبارة عن مناطق ماهولة أسست حول مراقد أئمة لهم مكانتهم الخاصة والمهمة لدى البغداديين وغير البغداديين. ولم يورد الرحالة وصفا لتخطيط هذه الضواحي عدى الإشارة الى وجود مساكن وأسواق ومقاهي في تلك الضواحي ولاسيما المناطق المحيطة بالمراقد.

-أما **بالنسبة للمسارات** فان مراجعة طروحات الرحالة والمخططات يظهر أن مخطط مدينة بغداد خلال العهد المملوكي كان يتألف من عقد ممرات وأزقة بالإضافة الى بعض الأسواق المستقيمة والساحات المكشوفة القليلة. ويمكن وصف هذه الشوارع والأزقة بأنها كانت شوارع ضيقة ومظلمة وغير مبلطة وكثيرة التعرج والإلتواء ويحيطها من الجانبين جدران مجردة ونادرا ماتكون هناك شبابيك تطل على الشارع العام، كما ان هناك العديد من الشوارع الفرعية في بغداد والتي تغلق مداخلها مساءا. وعموما فان الأزقة السكنية، كانت ضيقة ومظلمة ورطبة ولم يكن عرضها يزيد عن تسعة أقدام' بينما كانت شوارع الأسواق عادة محمية من الأعلى. وقد كانت هذه الأسواق تمثل الشوارع الرئيسة في المدينة. ويمكن القول ان اشارة بكنغهام 1816م للصحة العامة لمخطط نيبور 1765م تؤكد ان نمط تخطيط المدينة وشوارعها لم يتغير بشكل ملحوظ طوال فترة الحكم المملوكي.

وفيما يخص المسارات الرئيسة في المدينة يمكن القول ان الشوارع الممتدة من بوابات المدينة الى داخل وخارج المدينة هي من بين اهمها، ومن بينها طريق المعظم والذي يمتد من البوابة الشمالية الغربية للمدينة الى السراي والقلعة (المركز الإداري والعسكري) ويمر بساحة الميدان ومرافق أخرى مهمة ضمن المدينة، كما أن هذا الطريق يمتد خارج المدينة ليربطها بضاحية

المعظم من جهة وبالطريق المؤدي الى الموصل والقسطنطينية من جهة أخرى. وهناك أيضا الشارع الذي تقع عليه المدرسة المستنصرية والقريب من الجسر، إذ يقع على جهته اليمنى عند عبوره من الجانب الغربي وعلى ضفة النهر مباشرة، وكان هذا الشارع من أوسع الشوارع العامة في بغداد أوائل القرن الثامن عشر. وعموما فان الشوارع الممتدة من بوابات المدينة تمتد لتصل مابين البوابات أو الطرق المؤدية الى البوابات، أو تمتد لتربط هذه البوابات بقطاعات المدينة المختلفة. والشوارع بشكل عام عبارة عن مسارات غير منتظمة الشكل، كما أن للأبنية القائمة عليها دور كبير في تحديد أشكالا واتجاهاتها.

ومن مراجعة مخطط نيبور يمكن رؤية مسارات واضحة تربط الباب الوسطاني بقطاعات المدينة المختلفة، كما يوجد مسار واضح مستقيم تقريبا يمتد من جامع الشيخ عبد القادر عموديا باتجاه ضفة النهر، علما أن هناك أكثر من مسار يمتد من داخل المدينة وبشكل عمودي ومباشر نوعا ما باتجاه النهر. من ناحية أخرى يظهر مسار آخر موازي لنهر دجلة يمر من أمام أبنية مهمة كالسراي والمدرسة المستنصرية وجامعي الوزير وسيد سلطان علي، أما نهايتيه فتتصلان ببابي المعظم وقرووولوق.

أما المسارات في القسم الواقع غرب النهر فمن الواضح أنها تتشابه بشكل عام مع طبيعة الشوارع والأزقة في القسم الواقع شرق النهر، وهو ماأكده بكنغهام ، حتى أنها تبدو في المخطط كامتداد لها، وهي عادة تنتهي_ وبخاصة بعد تسوير القسم الواقع على الضفة الغربية لدجلة_ عند بوابات السور، حيث كانت تمتد من هذه البوابات طرق تربط المدينة بالمناطق والأقاليم الأخرى. وقد كان هناك طريق يمتد من الجزء الشمالي الغربي للسور يربط هذا القسم الغربي بضاحية الكاظم، وطرق أخرى تمتد من الجهة الجنوبية الغربية، كالطريق المؤدي الى الحلة. وأخيرا لابد من الإشارة للمسار الرابط بين قسمي المدينة الواقعين على ضفتي نهر دجلة وهو عبارة عن جسر يبتدأ ببوابة في الجانب الشرقي (باب الجسر أو صو قابي)، ويتألف من عدد من القوارب المربوطة مع بعضها بسلاسل حديدية، يتغير عدد هذه القوارب تبعا لمقدار ارتفاع الماء.

- وبالنسبة **للحافات** فان الإصطناعية منها تمثلت بالسور والخندق اللذان أحاطا قسمي المدينة الواقعان على جانبي النهر من ثلاثة جهات عدى جهة النهر، أما الطبيعية فتمثلت بنهر دجلة الذي قسم المدينة الى قسمين وشكل الحدود أو الحافة لكل قسم.

- أما **مناطق تجمع النشاطات البشرية** فقد أظهرت الوصوفات ان مناطق النشاط السكاني تركزت وزادت عددا وتنوعا من حيث أنماط الفعاليات التي تضمها كلما تم الإتجاه نحو النهر، إذ يتضح كون النهر أحد أهم العناصر التي اثرت في توزيع النشاطات والقطاعات والعقد ضمن المدينة وبخاصة القسم الشرقي منها. عموما يمكن توضيح مواقع تجمع الفعاليات البشرية، من قطاعات وعقد، وكما يلي:

-**القطاع العسكري** فقد ظهرت قلعة صغيرة تدعى إيج قلعة أي القلعة الداخلية في الزاوية العليا أو الغربية من المدينة الشرقية وكانت مقرا لقوات عسكرية وتستخدم كمخزن للأسلحة والبارود. ويمكن ادخال الأسوار المحيطة بقسمي المدينة الواقعين على ضفتي النهر مع أبراجهها وبواباتها ضمن القطاع العسكري.

-**القطاع الإداري والسياسي** – الخاص بالحكم ويقع في القسم الشرقي من المدينة، ويضم السراي أو قصر الباشا ويقع أمام القلعة ومطلا على النهر ويضم العديد من الأبنية.

-**القطاع السكني**، بالنسبة لقسم المدينة الواقع على الضفة الشرقية لدجلة فان المساكن توزعت ضمن هذا الجزء بعيدا عن السور الواقع في الجهة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية للمدينة في حين تواجدت في وسط المدينة واقتربت من الحافات الأخرى للمدينة لاسيما النهرية، إذ تطل عليها. كما ظهرت المساكن أيضا في المناطق المحيطة بمراقد الأئمة في الأعظم والكاظم. وظهر السكن أيضا في قسم المدينة الواقع على الضفة الغربية لدجلة وزاد كثافة مع الإقتراب من النهر.

-**القطاع التجاري**، ويتمثل بالأسواق ومتاجرها، وعموما فان الأسواق كانت تمثل الشوارع الرئيسية في المدينة وهي تتوزع ضمن المدينة وعلى مساراتها الرئيسية، ويزداد تركزها وعددها كلما اقتربنا من الحافة النهرية، ولاسيما بالنسبة للقسم الواقع على الضفة الشرقية لدجلة. كما ظهرت الأسواق في المناطق المؤسسة حول مراقد وجوامع الأئمة (كالأعظم والكاظم).

-**القطاع الديني**، ويضم الجوامع والمراقد والتكايا، وهذه توزعت داخل المدينة المسورة الشرقية وزاد عددها في المناطق القريبة من النهر، أما في جزء المدينة الواقع غرب نهر دجلة فقد ظهرت القبور في غرب المدينة وقريبا من السور. كما ظهرت قبور الأئمة في كل من ضاحيتي الأعظمية والكاظمية الواقعتان الى الشمال الغربي من المدينة وعلى ضفتين متقابلتين من النهر. أما التكايا فقد أشار الرحالة الى وجودها ولاسيما مطلة على النهر وذلك في القسم الواقع غرب دجلة.

-**الأبنية التعليمية (المدارس)** فقد أشار الرحالة الى وجود المدرسة المستنصرية مطلة على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وان كان قد تم تغيير استخدامها وتحولت الى خان.

-**الحمامات والخانات** أشارت الطروحات لوجودها في مدينة بغداد دون ان تحدد مواقع محددة لها ضمن المدينة.

-**الميادين والساحات** فقد أشارت الطروحات الى وجود ساحة الميدان على الطريق من الباب الشمال الغربي الى السراي وذلك في القسم الواقع على الضفة الشرقية لدجلة، وكذلك وجود ساحة للعبة الجريد بالقرب من الباب هذا الباب. أما بالنسبة للقسم الواقع على الضفة الغربية لدجلة فقد أشارت الطروحات الى وجود مكان فسيح بين ضريح الست زبيدة والشيخ معروف يجتمع فيه كبراء بغداد مرة في الأسبوع للهو وممارسة الرماية بالقوس والسهام.

- أما **المعالم الطبيعية:** يعد نهر دجلة أبرز معلم طبيعي في مدينة بغداد بقسميها، والذي كان له أثر مهم في تخطيط المدينة وتوزيع مساراتها وقطاعاتها المختلفة، وكذلك ربط مدينة بغداد عبر النهر بالمناطق الأخرى الواقعة الى الشمال أو الجنوب.

- وأخيرا بالنسبة **لخط السماء والمظهر العام:** سيطرت القباب والمآذن على خط سماء مدينة بغداد، علما أن هذه القباب وبشكل عام ليست كبيرة أو متعددة.

أما المظهر العام للمدينة فانها تبعا لوصوفات الرحالة ليست مدينة كبيرة أو آهلة بالسكان، فمساحات كبيرة منها داخل الأسوار كانت تخلو من المباني، كما أنها كانت تضم عددا من الحدائق، مما دفع البعض الى تشبيهها باقليم مسور وليس مدينة. أما أطراف بغداد فكانت تخلو من المنازل أو أماكن الترويح ولكن ظهرت فيها القبور والصحاري. عموما تركز سكان بغداد وكثرت الأسواق والفعاليات البشرية في المناطق القريبة من النهر والسراي، أما الأبنية فمعظمها كان مبنيا بآجر قديم مما اثر على مظهر تلك المباني. وبالنسبة لشوارع المدينة فانها كانت ضيقة وغير مبلطة، أما الأزقة فضيقة ومظلمة تطل عليها البيوت ذات الواجهات التي تخلو من النوافذ تقريبا، بينما تبرز من الطوابق العليا لهذه البيوت بروزات تمتد فوق الزقاق مما يسبب غلق الجزء العلوي من الزقاق. ولم تضم المدينة إلا القليل من الساحات المكشوفة وعدد من الأسواق المستقيمة المستطيلة. كما تميزت بغداد بقبابها المغلفة بالكاشي المزجج والذي يتلألأ تحت اشعة الشمس فيضفي جوا من الحيوية بالنسبة لمظهر المدينة العام. وبشكل عام واستنادا الى طروحات الرحالة يمكن وصف بغداد آنذاك بأنها كانت مدينة ذات طابع شرقي على الرغم من اشارة كل من بكنغهام وولستيد الى أن مظهرها نهاية الحكم المملوكي كان لايتناسب مع مجدها السالف ومايمكن توقعه من مدينة كانت عاصمة لإمبراطورية مهمة.

ثانيا": على المستوى المعماري والتفصيلي:

أظهرت الطروحات وجود العديد من أنماط المباني والتي أمكن تصنيفها تبعا لوظيفتها مع توضيح ماتميزت به من تفاصيل وفقا للمعلومات التي أوردها الرحالة عن هذه الأبنية، وكما يلي: راجع مواقع الأبنية في الشكل (6)

- **الأبنية السكنية:** وتتمثل بالبيوت والتي تراوحت وصوفات الرحالة مابين ذكرهم لكون البيت مربعا أو ذو زوايا مربعة تنتظم حول فناء ومابين القول بان البيت ينتظم حول فناء مربع. عموما فان البيوت كانت عادة بسيطة من الخارج وتنتظم بطابقين أو طابق واحد حول فناء مبلط قد يضم نافورة وبعض النباتات من نبق أو نخل، وتنفتح الغرف والحجرات ونوافذها على هذا الفناء، كما يمتد رواق مسقف مابين الفناء والغرف التي تنفتح عليها. أما بيوت الأغنياء فتضم أكثر من قطاع، وقد يصل الى أربعة قطاعات ذات أفنية خاصة بها مع وجود ممر صغير وباب يصل بين هذه القطاعات. وعادة فان المجموعة السكنية الثانية ذات الفناء في بيوت الأغنياء تخصص للنساء –الحرم ولايدخلها الرجال الغرباء عدى رب الأسرة، ويخصص لهذا القطاع مدخل بعيد عن الشارع. أما الديوان فهو غرفة تقع في الطابق الأول وتواجه الشمال أو الشمال الشرقي وتفرش للجلوس لقضاء قسم من النهار فيها في جميع المواسم. وفي بيوت الأغنياء ينفصل الديوان الى قطاع خاص برجال العائلة وضيوفهم، ويخصص له الباب القريب من الشارع ويكون مفتوحا للضيوف دائما ويضم دكة لجلوس الخدم. ومايميز المساكن البغدادية هو إحتوائها على السرداب، كأحد الحلول للتخلص من الحرارة العالية صيفاً، إذ يتم قضاء معظم أوقات النهار فيها إذ تصل حرارتها تصل الى 25–26 درجة مئوية. والسرداب عبارة عن قبو واسع مقبب بشكل جيد ومزين نوعا ما ويمتد تحت الارض الى عمق حوال 4–5 أقدام، ويضم مجاري هوائية تمتد الى أعلى البيت لتفتح باتجاه الشمال وتستخدم لتجديد الهواء عبر فتحات صغيرة.

أما السطوح فكات مستوية استخدمت للنوم صيفا خلال الليل. كما امتازت الجدران المطلة على الأزقة بالبساطة وانها تكاد تخلو من النوافذ وان وجدت فانها تكاد لاترى، الا ان هذه الجدران ضمت امتدادات تضم نوافذ تبرز من البناء في الطوابق العليا لتمتد فوق الشارع أو الزقاق، فتكون سببا في غلق الجزء العلوي من الزقاق. أما الداخل فيضم أثاثا بسيطا، كما تضم بيوت الأغنياء الفرش الحمراء المطرزة بخيوط الذهب والفضة، بينما تغطى الأرضيات بالسجاد الثمين. وبالنسبة للجدران الداخلية فانها قد تزين بالمرايا، أما السقوف فتزين بزخارف خشبية محفورة. وبالنسبة لأبواب البيوت فانها عادة صغيرة وهذه الأبواب تكون إما مقوسة أو مسطحة من الأعلى تعلوها نقوش منحوتة آجرية. وأخيراً وبالنسبة لمادة البناء فان معظمها كان يبنى بالطابوق.

-المباني العسكرية والدفاعية والتحصينية: وتتمثل بالسور وأبراجه وبواباته والقلعة. فبالنسبة للسور المحيط بقسم المدينة الواقع شرق نهر دجلة فانه كان محاطا بخندق جاف واسع لم يغلف باي شئ، أما السور فعالي ومبني بأكمله من الآجر ومن أنواع تتباين في جودتها حسب تاريخ بنائها، إذ تم تشييد السور واصلاحه خلال فترات مختلفة حتى ان أقدم أجزاء السور هو أفضلها بناءاً. أما بناء السور فانه كان سميكا جدا من الأسفل ليضيق صعودا ومن الجانبين، كما ان السور كان يضم عددا من الثقوب أو المزاغل تستخدم لإطلاق النار من البنادق. كما ضم أيضا عددا من الأبراج الدائرية الضخمة تعلوها المدافع، عددها عشرة تبعا لنيبور، وزعت على واجهات السور، كما ظهرت أبراج صغيرة موزعة مابين الأبراج الكبيرة استخدمت للدفاع بالبنادق. أما أبواب السور فقد كانت أربعة أغلق أحدها، وهو باب الطلسم والواقع جنوب الباب الوسطاني، في عهود سابقة للمماليك ولم يبق منها الإ ثلاثة اضافة الى باب الجسر(صو قابى)، وكانت هذه البوابات تتألف من أواوين عالية مدببة الشكل. وكان عدد من الرحالة، كأوليفييه وبكنغهام وولستيد، قد أشاروا الى ضعف التحصين للمدينة مقارنة بغيرها من المدن المشابهة لها.

أما القلعة (إيج قلعة) فكانت عبارة عن قلعة صغيرة استخدمت كمخزن للبارود، كما كانت تقيم فيه القوات العسكرية آنذاك.

-المباني الإدارية والخاصة بالحكم: وهذه تمثلت بالسراي أو قصر الباشا وكان يقع في الزاوية العليا الغربية من القسم الواقع على الضفة الشرقية لدجلة وأمام القلعة وقريبا من ضفة النهر، وكان عبارة عن مبنى كبير ضم داخله معظم الدوائر العامة ومرافق كبيرة للحاشية والموظفين وغرف للباشا مع اصطبل للجياد وفضاء للخدم. وعلى الرغم من اشارة بكنغهام الى كون السراي يمثل بناءا عصريا إلا أنه تبعا لبكنغهام وولستيد يمتاز بانه مجمع سيء التنظيم والتخطيط. أما القنصلية الإنكليزية فكانت عبارة عن دار كبيرة بفنائين، أحدهما استخدم كمأوى والآخر كديوان للقنصل بجانبه دوائر تابعة للقنصلية.

-الأبنية الدينية: وهذه تشمل الجوامع والمساجد والأضرحة والتكايا. فبالنسبة للجوامع أشر الرحالة وجود المباني التالية داخل المدينة المسورة والواقعة الى الشرق من دجلة: ضريح الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامع سوق الغزل وجامع مرجان وجامع الخاصكي، وجامع الوزير وجامع في ساحة الميدان[1]، بالإضافة الى تكية القلندرية. أما في القسم الواقع الى الغرب من دجلة فقد ظهرت المباني التالية: قبر زبيدة وقبر يوشع وقبر بهلول وقبر الشيخ معروف الكرخي، وهذه المقابر كانت تقع خارج أسوار المدينة الغربية، كما أشار أوليفييه الى الإعتقاد بان تلك المقابر كانت تقع ضمن اسوار بغداد القديمة (بغداد المنصور). و ظهرت أيضا في الضاحية الغربية لبغداد ومطلة على دجلة تكية البكتاشية. أما بالنسبة لضاحية المعظم فقد ضمت ضريح الإمام أبي حنيفة، بينما ضمت ضاحية الكاظم جامع وضريح الإمامين موسى الكاظم وحفيده.

كما أظهرت طروحات الرحالة أنه في أواخر الفترة المملوكية كان هناك مالايقل عن مئة مسجد في بغداد، جميعها مبنية بالآجر الصغير الحجم وباللون الأصفر والأحمر، وأنها كانت متشابهة نسبيا، وان حوالي ثلاثين منها فقط كانت تضم منائر فيما الباقي كان عبارة عن مصليات أو أضرحة أو أماكن عبادة. كما أظهرت طروحات بعض الرحالة، كولستيد 1730م، أن المباني القديمة أو أجزاءها التي لاتزال قائمة كانت أحسن من ناحية البناء من تلك الحديثة، وهذه إشارة الى التراجع في فن وصنعة البناء مع تقدم الزمن خلال الفترة المملوكية وهي ظاهرة أشار لها الرحالة أيضا عند تناولهم لسور المدينة وبنائه. أما طراز مساجد بغداد فقد أكد بكنغهام 1816م على أختلافها عن طراز المساجد في معظم الأجزاء الأخرى من تركيا. وبشكل عام فان مخططات تلك،لاسيما المساجد والجوامع، كانت تضم قسمين اساسيين هما: المبنى الذي تعلوه القبة، والصحن المكشوف.

[1]. لعله يقصد جامع المرادية الذي أنشأ في ق16م أو يقصد جامع الأحمدية الذي شيد خلال الأعوام 1795–1796م.

أما بالنسبة للعناصر الواضحة في تلك المباني الدينية وخصائصا فقد ظهرت القباب كعناصر اساسية ومهيمنة في الجوامع والمساجد والأضرحة، وهي مصنوعة من الآجر. أما أشكالها فان عدد قليل من القباب مستوية وذات سطح منبسط، أما القباب الرئيسية فانها عالية ضيقة. وقد أشار كل من بكنغهام وولستيد الى هذه القباب بانها ذات طراز فارسي، بينما أشار نيبور لطراز قبتي ومنائر ضريح الإمام موسى الكاظم بالفارسي. وعموما فان القباب والمآذن كانت تغلف بالكاشي المزجج الذي يضم زخارف ورسوم وبألوان الأخضر والأبيض،.. ، كما استخدمت أشرطة من كتابات تنفذ بنفس الطريقة السابقة لتغليف قاعدة القبة، وكان يعلو القباب والمآذن قضيب معدني ينتهي بكرها يعلوها هلال. أما قبتا مسجد وضريح الامام موسى الكاظم فقد امتازا بتغليفهما بالذهب وايضا تحيطهما النقوش والكتابات. كما ظهر أيضا نمط آخر من القباب كانت تعلو قبر زبيدة امتاز بشكله المخروطي الحاد يمكن وامتاز بسطحه المؤلف من أقسام محدبة في الخارج تقابلها عقود مجوفة من الداخل، ولم تكن تغلف بالكاشي.

أما المآذن فامتازت ببدنها الإسطواني وبناءها الآجري وتغليفها بالكاشي المزجج وتزيينها بالمشاكي أو المقرنصات،كما تضم عادة صحنا قريبا من نهايتها العلوية يعلوه جزء قصير من البدن لتنتهي المئذنة بقبة صغيرة يعلوها قضيب يضم الكرة والهلال. أما عدد المآذن في المبنى فانها قد تكون واحدة، كما في جامع سوق الغزل، وقد تصل الى أربعة، كما في جامع الإمام الكاظم.

وبالنسبة للنقوش والزخارف والكتابات فانها ظهرت في الواجهات الخارجية لتلك المباني وعلى شكل أشرطة تؤطر المداخل الرئيسية وكذلك في الأروقة وعلى سطوح القباب والمنائر والمحاريب. أما أنواع التزيينات في المباني فانها تنوعت مابين مقرنصات وكتابات ونقوش عربية هندسية واشكال نباتية وزهرية وأصص منفذة على الآجر أو الكاشي المزجج أو الألواح المرمرية. في حين اعتمدت مواد البناء على الآجر كمادة أساسية، كما استخدم البورك الأبيض وكذلك القار.

-الأبنية التجارية: وتشمل الأسواق والمحلات. وكانت هذه الأسواق تقسم الى مجاميع منفصلة ولكل منها شوارع خاصة بها وذاك تبعا للبضاعة التي تباع فيها أو نوع العمل الذي يزاول فيه (سوق الأقمشة والمنسوجات، الأحذية، المجوهرات،العطور،...). ومن هذه الأسواق سوق الموسلين أو سوق البغتة وسوق الغزل وسوق كبير قريب من السراي وساحة لعب الجريد. وتتألف هذه الأسواق عادة من أزقة مستقيمة، أحسنها ذو سقف معقود بالآجر الذي يضم فتحات للإضاءة، إلا أن معظمها مسقف بالخشب وأغصان الأشجار والقش أو القماش الخشن. أما حوانيت الباعة فتصطف على جانبي السوق وتتألف من غرفة واحدة مفتوحة. وتبعا لولستيد 1830م فان هذه الغرفة ترتفع أرضيتها عن مستوى الشارع بحوالي ثلاثة أقدام، أما مساحتها فلاتزيد عن ثمانية أقدام. أما أوليفييه 96-1794م فقد أشار الى أن الدكان يتألف من مجاز بعرض 2-3 قدم يتم الوصول من خلاله الى الدكان، أما المجال المخصص للسابلة ضمن السوق فيكون بعرض يتراوح مابين 10-12-15 قدم.

-الخانات: وهذه تمثل منازل المسافرين المسافرين، وكان يبلغ عددها حوالي الثلاثين أوائل القرن الثامن عشر. وأهم الخانات التي أشار لها الرحالة خان الأورطمة، وخان جغال، وكذلك المدرسة المستنصرية التي يبدو انها استخدمت كخان دعى بأوت ميداني خان (أي خان ميدان العلف أو العشب) خلال الفترة المملوكية. وبشكل عام فان هذه الخانات استخدم الاجر في بنائها، كما ضمت زخارف مقرنصة وكتابات تشير الى من بناه وزمن البناء. وتبعا لولستيد 1830م فان هذه الخانات تأتي بالدرجة الثانية عند مقارنتها بالخانات في مدن شرقية أخرى.

-الحمامات: قيل ان عددها وصل في بغداد الى أكثر من خمسين حماماً وذلك في العام 1816م، ولندرة المرمر في العراق فان الحمامات لم تكن تبنى بالمرمر، كما في اسطنبول والقاهرة، وانما استخدم في بنائها الآجر والقار. فافضل هذه الحمامات كان يبنى بالآجر الذي قد يغلف في أماكن معينة بالكاشي الذي يضم صور لأزهار وطيور، أما أرضيته فكانت بسيطة.

-المدارس: من أبرز المدارس التي أشار لها الرحالة والتي كانت موجودة في بغداد خلال العهد المملوكي المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية اللتان بنيتا في عهود سابقة للعهد المملوكي، لكن السمتنصرية حورت في العهد المملوكي، إذ استخدم احد مرافقها كدار للكمرك والقسم الباقي كخان. وبشكل عام كانت تلحق بكل جامع مدرسة.

-إجمالاً فان أهم المواد البنائية التي استخدمت في مباني الفترة المملوكية في بغداد سواء العامة أو الخاصة كان الآجر الصغير والذي وصف بانه كان صغير الحجم وباللون الأحمر المصفر، علما أن معظم الآجر الذي كان يستخدم يبدو أنه سبق استخدامه أو نقل من مباني اقدم، لذا فان مظهر الأبنية لم يكن في الغالب منسقا ونظيفا الإ عند استخدام آجر جديد.ومن المواد البنائية الأخرى القار والذي استخدم كمانع للرطوبة وطلي به خارج المجاري والحمامات والمغاسل والأماكن المعرضة للماء.

- أخيرا، واستنادا الى طروحات الرحالة الأربعة وكذلك بالاستعانة بمخطط كل من تافرييه ونيبور، توصل البحث الى تحديد مواقع المباني والمنشأت التي وجدت في المدينة خلال الفترة المملوكية على مخطط لمدينة بغداد خلال تلك الفترة. وقد تم الإستعانة في تحديد مسار السور المحيط بقسم مدينة بغداد الواقع غرب دجلة بالمخطط الذي وضعه لبغداد كل من فيليكس جونس وكولينكوود[1] في منتصف القرن التاسع عشر. راجع الشكل (6) والذي يمثل خارطة توضح صورة مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي تبعا لطروحات الرحالة الأجانب.

11- الإستنتاجات

- بالإمكان تعريف الصورة بالنسبة للمدينة أو العمارة بأنها: التركيبة (الهيئة أو الشكل أو البنية) الناتجة من جمع أجزاء وعناصر ومفردات المدينة أو العمارة قيد البحث. وبذلك فان رسم تلك الصورة تعني: وصف تركيبة المدينة وصفاً يكشف عن أهم سمات وملامح أجزاءه وعناصره ومفرداته ومابينها من علاقات وعلى المستويين الحضري والمعماري.
- تتضمن مفردات دراسة وتحليل ورسم الصورة للمدينة على المستويين الحضري والمعماري والتي تمثل المكونات أو العناصر الأساسية لتركيبة أية مدينة كلا من: المكونات على المستوى التخطيطي والحضري (مخطط وموقع المدينة، المسارات، الحافات، مناطق تجمع النشاطات الإنسانية– القطاعات والعقد، المعالم الطبيعية، المظهر العام للمدينة وخط سمائها). والمكونات على المستوى المعماري (انواعها الوظيفية، نمط مخططاتها، عناصرها المعمارية وخصائصها، مواد البناء وطرق الإنشاء، الزخارف والتزيينات).
- تظهر النتائج ان طروحات الرحالة عموما (أوربيين أوشرقيين أو عرب) مصدر مهم وغني بامكانه أن يثري المعرفة عن جوانب مهمة تتعلق بتاريخ العمارة العراقية، علما أن هناك ندرة في الدراسات المعمارية التي تتطرق لها أو تستند اليها.
- من خلال رسم صورة للعمارة في مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي إستنادا الى طروحات الرحالة الاجانب فقط (نيبور وأوليفييه وبكنغهام وولستيد) أمكن التوصل للإستنتاجات التالية والمرتبطة بطروحات هؤلاء:
- لم تشهد مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي تبعا نشاطا عمرانيا متميزا، إذ أن معظم الأبنية العامة التي اشار وا لها كانت قد شيدت في فترات سبقت فترة الحكم المملوكي في بغداد، يضاف لما سبق ظهور اشارات لتراجع فن وصنعة البناء مقارنة بالفترات السابقة للملوكية، سواء على مستوى المبنى نفسه أو مواد بنائه، وهذا مأأثر على مظهر المدينة العام والذي لم يكن يتناسب مع ماتوقعه الزائر الأجنبي من مدينة كانت عاصمة لخلافة مهمة وغنية سمع وقرأ عنها الكثير.
- رغم ماذكر أعلاه فقد امتلكت بغداد خلال الفترة المملوكية صورة المدينة الشرقية وطابعها وذلك من خلال نمط تخطيط قطاعاتها وشوارعها وأزقتها غير المنتظمة والمتعرجة وجدران مساكنها المجردة والتي تمتد منها بروزات تطل على الأزقة، وأسواقها المسقفة، وقباب ومنائر جوامعها وأضرحتها.
- يمكن عد السور المحيط بقسم مدينة بغداد الواقع الى الغرب من نهر دجلة والذي بني خلال العقد الأخير من القرن السابع عشر أبرز انجاز معماري–تخطيطي خلال الفترة المملوكية، وكان الهدف منه دفاعي تحصيني.
- يمكن عد نهر دجلة من أبرز وأهم العناصر الطبيعية التي كان لها أثر مهم في تخطيط المدينة وتوزيع مناطق تجمع النشاطات البشرية من عقد وقطاعات.
- يستدل من المخطط في الشكل (6)، والذي حدد عليه البحث الحالي مواقع أبرز مباني ومنشآت الفترة المملوكية تبعا لطروحات الرحالة الأجانب الأربعة، أن أبرز تغيير حصل في شكل وسعة مدينة بغداد حدث في قسم المدينة الواقع غرب النهر وذلك بعد انشاء السور المحيط به في أواخر القرن الثامن عشر، أما القسم الواقع شرق النهر فقد حافظ على شكله وسعته وتخطيطه السابق للفترة المملوكية وذلك طوال عهد المماليك نظرا لإستمرارية وجود السور المحيط به والذي أنشأ في فترات سبقت العهد المملوكي.
- لايمكن التسليم بالأحكام التي أطلقها الرحالة حول الأصول غير العراقية لبعض العناصر أو التفاصيل البنائية أو بعض طرق البناء والتشييد كونها أحكام عامة لاتستند على أدلة علمية وافية تؤكدها.

[1] راجع المصدر مصطفى جواد وآخرون، 1961 ضمن قائمة المصادر

12- التوصيات

- التعمق في دراسة العمارة العراقية بأنماطها وفتراتها المختلفة تبعا لطروحات الرحالة سواء العرب أو الشرقيين أو الأجانب.
- اعداد دراسات علمية متخصصة حول اصول العناصر والتفاصيل البنائية أو بعض الطرق البنائية التي اشار الرحالة الأجانب الى أنها تعود لأصول غير عراقية دون التفحص العلمي للموضوع.

13- المصادر

1 -ابن منظور، جمال الدين بن محمد الأنصاري، "لسان العرب، ج1،ج6، ج13، الدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة، مصر .د.ت.

2 -العامري، شذى عباس،2010 ، "التواصل في عمارة الفضاء الرافديني"، أطروحة دكتوراه، قسم هندسة العمارة، كلية الهندسة، جامعة بغداد.

3 -المحامي، عباس العزاوي، "موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين- حكومة المماليك"، المجلد السادس، الدار العربية للموسوعات.

4 -بكنغهام، جيمس، ترجمة: سليم طه التكريتي، 1827، "رحلتي الى العراق-الجزء الأول"، المجمع العلمي العراقي، مطبعة أسعد، بغداد ،1986.

5 -بشرى موسى صالح، 1987، "الصورة الفنية في نقد الشعر العربي الحديث"، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب -قسم اللغة العربية، جامعة بغداد.

6 -خولة كريم كوثر، 2014، "الصورة البصرية لمدن المستقبل"، أطروحة ماجستير قسم هندسة العمارة، الجامعة التكنولوجية.

7 -سليمان فائق بك، ترجمة: محمد نجيب أرمنازي، 2012، "تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد"، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

8 -صليبا، جميل، "المعجم الفلسفي"، ج1، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، لبنان، 1982.

9 -فراس علي مجيد، 2013، "تتابع البنى الحضرية والمعمارية لمدينة بغداد عبر تاريخها"، رسالة ماجستير ، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة بغداد.

10 -قديفة، مالك صبري، 2006، "صورة العمارة العراقية قبل الإسلام"،أطروحة دكتوراه،قسم الهندسة المعمارية،كلية الهندسة،جامعة بغداد.

11 -كوك، ريجارد، نقله الى العربية: فؤاد جميل ومصطفى جواد، 1927، "بغداد مدينة السلام"، الجزء الأول، ، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر ،2014.

12 -لونكريك، ستيفن هيمسلي، 1941، " أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث"، ترجمة : جعفر الخياط،الطبعة السادسة، منشورات كمكتبة النهضة العربية، الطبعة السادسة، 1985.

13 -مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، 2004.

14 -مصطفى جواد وآخرون، 1961، " بغداد"، الناشر: نقابة المهندسين العراقية، .

15 -نيبور، كارستن، ترجمة: محمود حسين الأمين، 1965، "رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر"، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، سلسلة الكتب المترجمة، بغداد : دار الجمهورية للطبع والنشر.

16 -ولستيد، جيمس ريموند، ترجمة: سليم طه التكريتي، "رحلة الى بغداد في عهد الوالي داود باشا للرحالة الإنكليزي جمس ريموند ولستيد"، نشر وتوزيع مكتبة النهضة العربية ومكتبة دار احياء التراث العربي، بغداد.

17- Fletcher, Banister, 1954, (A History of Architecture on the Comparitive Method", 16th Edition, London: B. T. BATSFORD LTD. .

18- Hakim, Basim Selim, 1980, "Arabic –Hslamic Cities", London.

19- Al-Hajri, Hilal, "British Travel-writing on Oman: Orientalism Reappraised", Bern ; Oxford : Peter Lang, 2006.

20- Lynch, Kevin, 1960, "The Image of the City", The M.I.T. Press.

21- Salingaros, Nikos ., 2002, "Theory of Urban web", http://libra.msra.c n/Publication/5436116/theory-of-the-urban-web

22- Cambridge Dictionary, Skyline, http://dictionary.cambridge.org/dictionary/english/skyline .
23- wiktionary,Skyline, https://en.wiktionary.org/wiki/skyline .
24- Oxford Dictionary, Skyline, http://www.oxforddictionaries.com/definition/english/skyline .
25- free Dictionary, City+skyline, http://www.oxforddictionaries.com/definition/english/skyline.

جدول (1): الإطار النظري لدراسة وتحليل ورسم الصورة للمدينة لإستكشاف طبيعتها / المصدر: (الباحثة)

مؤشرات دراسة وتحليل ورسم الصورة للمدينة لإستكشاف طبيعتها (المكونات والعناصر الأساسية التي تشكل صورة المدينة)	**على المستوى التخطيطي والحضري**	مخطط وموقع المدينة
		المسارات
		الحافات
		مناطق تجمع النشاطات الإنسانية: وهذه تشمل كلا من: العقد والقطاعات
		المعالم الطبيعية
		المظهر العام للمدينة وخط سمائها
	على المستوى المعماري	الأنواع الوظيفية وتفاصيلها من حيث: نمط مخططاتها، عناصرها المعمارية، مواد البناء وطرق الإنشاء، الزخارف والتزيينات، أخرى

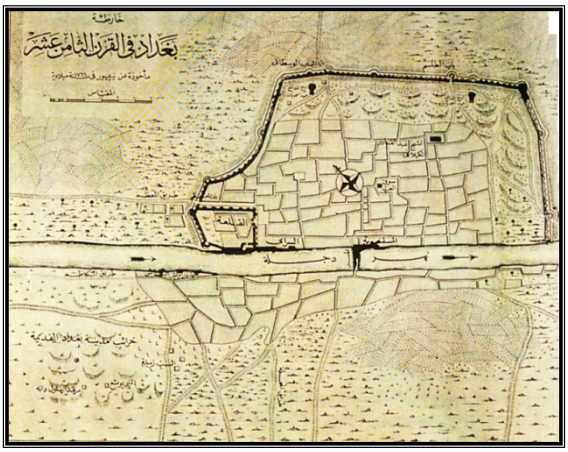

شكل (2): خارطة مدينة بغداد كما رسمها كارستن نيبور في القرن 18م وبالتحديد سنة 1766م.
المصدر: (مصطفى جواد وآخرون ، ص69)

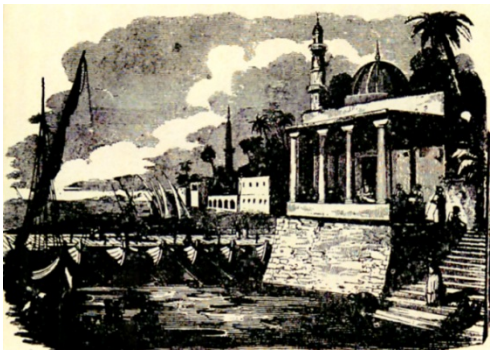

شكل (3): جسر القوارب في بغداد فوق نهر دجلة، ومن رسم بكنغهام 1816م.
المصدر: (بكنغهام، مقابل صفحة 227)

شكل (4): أحد مداخل بغداد عند باب المعظم، ومن رسم بكنغهام 1816م.
المصدر: (بكنغهام، مقابل صفحة 171)

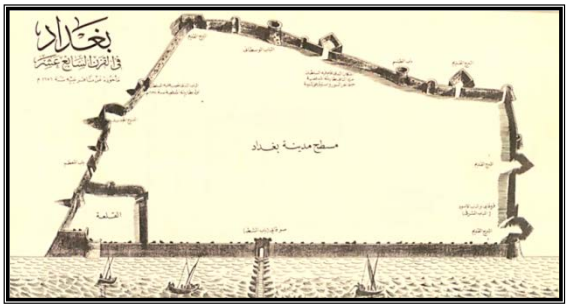

شكل (5): قبر السيدة زبيدة، ومن رسم بكنغهام سنة 1816م.
المصدر: (بكنغهام، مقابل صفحة 226)

شكل (1): خارطة مدينة بغداد كما رسمها تافرييه في ق 17م وبالتحديد سنة 1656م.
المصدر : (مصطفى جواد وآخرون ، ص67)

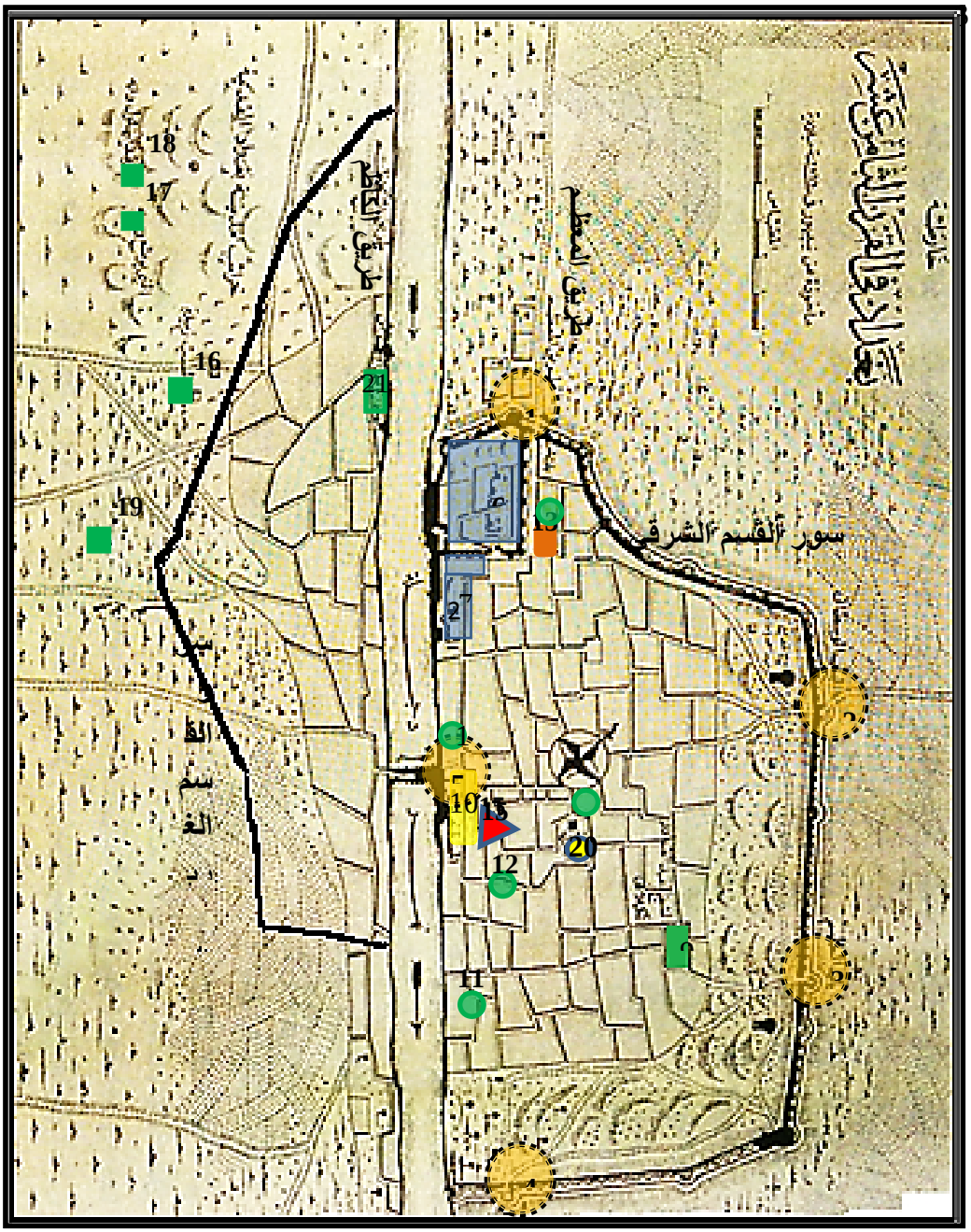

1. باب المعظم
2. الباب الوسطاني
3. باب الطلسم (أغلق)
4. باب الظلمات – قروولوق
5. باب الجسر - صوقلبي
6. إيج قلعة
7. السراي-قصر الباشا
8. جامع سوق الغزل
9. جامع الشيخ عبد القادر
10. المدرسة المستنصرية
11. جامع السيد سلطان علي
12. جامع الخاصكي
13. ساحة الميدان
14. جامع الوزير
15. خان الأورطمة
16. ضريح الست زبيدة
17. ضريح النبي يوشع
18. ضريح بهلول دانه
19. قبر الشيخ معروف
20. سوق الغزل
21. تكية الدراويش

شكل (6): خارطة توضح صورة مدينة بغداد خلال فترة الحكم المملوكي تبعا لطروحات الرحالة الأجانب. خارطة مدينة بغداد التي رسمها نيبور سنة 1766م، موضحا عليها مواقع المباني والمنشأت التي وجدت في المدينة خلال الفترة المملوكية، وكذلك شكل المدينة وحدودها وسعتها ضمن قسميها الواقعين الى الشرق والغرب من نهر دجلة.مصدر الخارطة (نيبور، ص29)، أما التأشيرات والتوضيحات والألوان والأرقام وحدود السور الغربي ومفتاح الخريطة من (عمل الباحث)